موقف المرأة الصالحة من تعدد الزوجات

بقلم

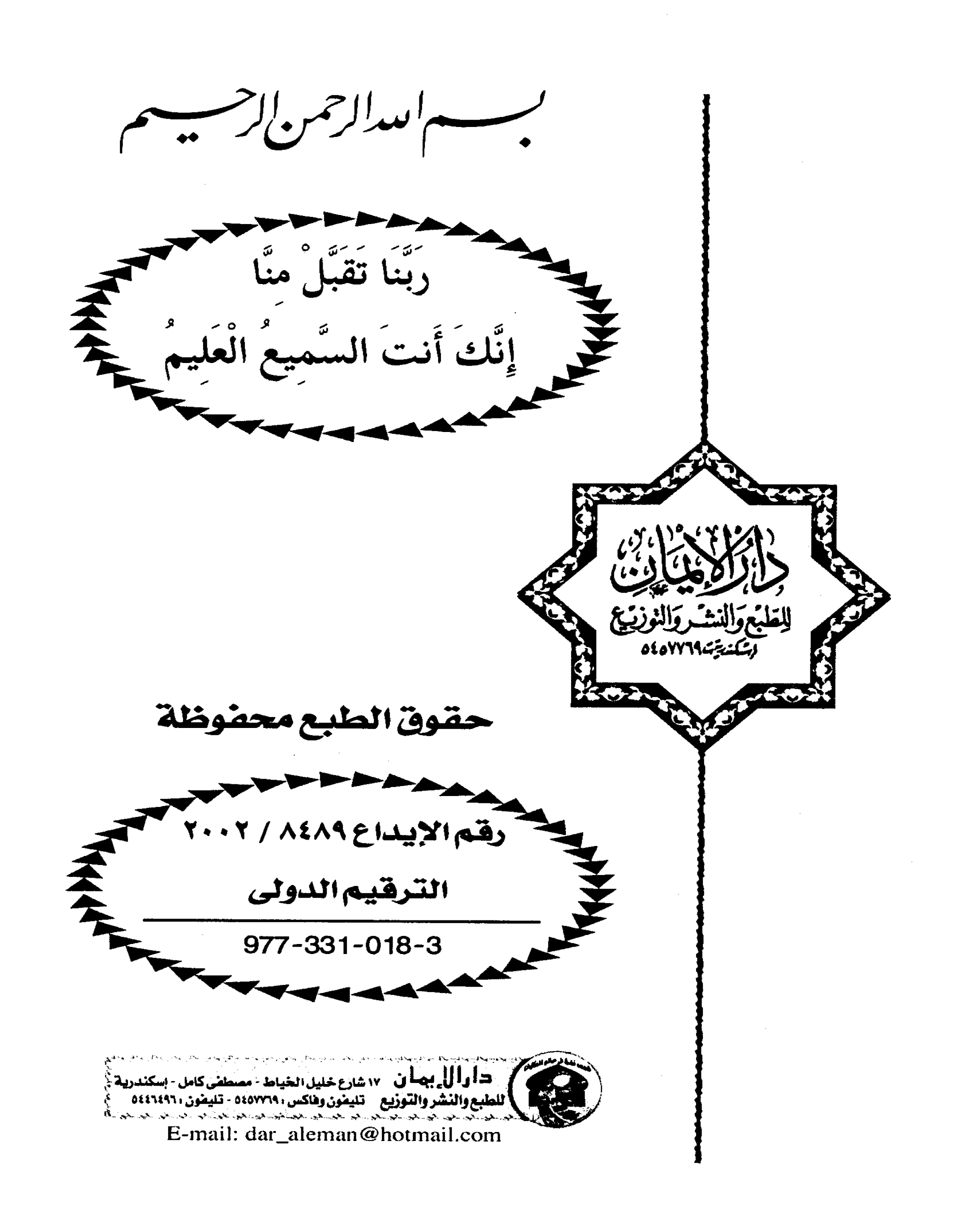
عصام محمد الشريف

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

اسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩



رقم الإيداع ٨٤٨٩ / ٢٠٠٢
الترقيم الدولى
977-331-018-3

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس ٥٤٥٧٧٦٩ - تليفون ٥٤٤٦٤٩٦
E-mail: dar_aleman@hotmail.com

مَوقِفُ المَرأةِ الصَّالحةِ مِن

تَعَدُّدِ الزَّوجاتِ

تقديم :

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، شرع لنا ديناً قويماً ، وهدانا صراطاً مستقيماً ، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة ، ففتح به أعيناً عُمياً ، وآذاناً صُماً ، وقلوباً غُلفاً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمد عبده ورسوله

أما بعد :

فهذه هى الرسالة الأولى من هذه السلسلة المباركة – إن شاء الله – والتى أسميتها « ثغرات فى بيوتنا » ، والتى أود من خلالها إلقاء الضوء على أهم المثالب والسلبيات الموجودة فى بيوتنا وكيفية تداركها وعلاجها ، حتى تصبح بيوتنا صورة حقيقية للإلتزام بالإسلام .

وهذه الرسالة التى بين يدى القارئ هى باب من كتابى « الزوجة الثانية ... وهم أم حقيقة » ، ورأيت أن أخرجها إلى النور فى رسالة مستقلة لأهميتها ، فضلاً عن أنها المقصود الأساسى من الكتاب ، والثمرة المرجوة من الحديث عن التعدد فى الإسلام .

للأسف يعتقد الكثير – لجهلهم وقلة دينهم – أن قضية التعدد عورة مكشوفة يجب سترها وعدم نشرها أو الحديث عنها ، أو تهمة يجب تكتمها وسترها ، أو مسألة نتوارى منها خجلاً ، وندخل معها قفص الإتهام ، نلتمس البراءة لديننا أمام أعداء الإسلام ، أو البراءة لأنفسنا أمام جمع غفير ممن لا ناقة لهم ولا جمل فى الدين !!! .

إن قضية تعدد الزوجات من القضايا التى تثير حفيظة النساء ، وتثير أيضاً غضبهن ، لأن المرأة بفطرتها لا تريد لنفسها ضُرة أو شريكة أخرى لها فى زوجها ، وقد تتباين مواقف النساء – إلى حد ما – تجاه التعدد ، مابين غالية أو جافية أو متحفظة على استحياء ونحو ذلك ، إلا أنه يبقى موقف المرأة الصالحة

– بما تعنيه كل معانى الصلاح – شامخاً معتزاً بنفسه بين كل مواقف النساء الأخرى .

وإنى لا أعفى أخواتنا المسلمات – واللائى من المفروض أن يكن ملتزمات – من مواقف مخالفة للشرع تجاه هذه القضية ، وذلك بسبب خلطهن بين العاطفة والأنانية والشرع ، لذا كان من الواجب تبصير نساء المسلمين – لا سيما الأخوات المسلمات – بحقيقة موقفهن الشرعى الصحيح تجاه هذه القضية ، وحتى يكون العوام من النساء على وعى بحقيقة ما يجب أن يكن عليه من موقف إيمانى صحيح تجاه قضية التعدد .

والله أسأل أن يبلغنى ما أردت من إسداء النصيحة الخالصة لنساء المسلمين قبل الندم والسؤال يوم الحساب .

رباه ... رباه ...

يظن الناس بى خيراً ... وإنى لشرُّ الناس إن لم تعفُ عنى
ومالى حيلةٌ إلا رجائى ... وعفوك إن عفوت وحسن ظنى

اللهم اجعلنى خيراً مما يظنون ، واغفر مالا يعلمون . رب أعنى ولا تعن علىّ ، وانصرنى ولا تنصر علىّ ، وامكر لى ولا تمكر علىّ ، واهدنى ويسر الهدى لى ، وانصرنى على من بغى علىّ .

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتبه

أبو أحمد / عصام بن محمد الشريف

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

موقف المرأة الصالحة من تعدد الزوجات

الموقف الأول
الرضا التام والتسليم بحكم الله تعالى

ولا أعنى بهما ذلك الموقف المبدئ لكثير من النساء – لا سيما الملتزمات – من أنه لا مانع لديهن من التعدد لأنه شرع الله ولا نستطيع أن نعترض ، وسنكون أخوات فى الله ، ولابد أن نتكاتف ونتعاون من أجل مشاكل الأرامل والمطلقات إلى غير ذلك مما يُسمع منهن من الكلام المنمق والجميل ، ثم إذا شرع الزوج فى تنفيذ ذلك ، وخطا خطوات إيجابية ، تغيرت كل هذه اللافتات والدعاوى ، وتبدلت بأخرى مضادة ، فضلاً عن سلوك العداء والمخاصمة الذى يحدث ، وتقوم الدنيا عليه وكأنه ارتكب كبيرة من الكبائر ، أو اقترف إثماً عظيماً .

لذا فإنى أعنى بالرضا التام والتسليم لحكم الشريعة ، ذلك الموقف الثابت الذى لا يتغير قبل التعدد أو بعده ، بحيث لا يظهر من المسلمة ولا يُسمع منها ما يخالف الشرع ، قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥) ﴾ (١) .

قال ابن كثير رحمه الله :

وقوله : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أن لا يؤمن أحد حتى يُحكم الرسول فى

(١) سورة النساء الآية « ٦٥ » .

جميع الأمور ، فما حكم به هو الحق الذى يجب الانقياد له باطناً وظاهراً ، ولهذا قال : ﴿ **ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ أى إذا حكّموك يطيعونك فى بواطنهم فلا يجدون فى أنفسهم حرجاً مما حكمت به وينقادون له فى الظاهر والباطن ، فيُسلّمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة ، كما ورد فى الحديث : « **والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به** »(١) .

لذا فإنه من الواجب على المرأة الصالحة أن تعى جيداً أن تعدد الزوجات شعيرة ماضية إلى يوم الدين ، ليس لها إلا أن ترضى وتسلم بها عن قناعة ورضى بحكم من يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ، وألا يكون فى نفسها حرج مما قضى الله تعالى أو قضى رسوله ﷺ من أحكام هذه الشعيرة، وأن يكون التسليم لذلك تسليماً تاماً لا يخدشه حزن أو اعتراض أو « لو أنى فعلت كذا كان كذا » ونحو ذلك .

إن من أهم قضايا العقيدة الإسلامية الإيمان بأن لله وحده سبحانه وتعالى وليس لأحد سواه حق التشريع للبشر فى شئون دنياهم ، والله عز وجل لا يشرع تشريعاً من شأنه خراب البيوت أو قطع أواصر المحبة والإخوة بين المسلمين والمسلمات ، ولكن لعموم الجهل بالدين وقلة التقوى عند البعض ، وإنعدامها عند الكثير من الناس ، جعل فى نفوسهم حرجاً ، مما قضى الله عز وجل فى حكم التعدد بدليل سلوكياتهم ، وتصرفاتهم المخالفة للشريعة ضد التعدد وضد من يعدد وضد من يوافق على التعدد .

الدين دين الله ، والخلق خلق الله ، والكون ملك لله ، والمآل والمصير لله ، قال تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ** ﴾(٢) ، ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ**

---

(١) تفسير القران العظيم « ١/٥٢٠ » .
(٢) سورة الرعد الآية « ٤١ » .

إلاَّ للَّه ﴾ (١) .

وقال أيضاً : **﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣) ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٦٤) ﴾** (٢) .

ولعل مما ينافى الرضا والتسليم :

١ – قول بعض النساء : نفسيتى ستظل متغيرة منك ، وسأظل حزينة بسبب هذا التعدد إلى أن أموت » .

إن هذا رجمٌ بالغيب ، فضلاً عن عدم تقديم إمكانية هداية الله تعالى لها ، وتطييب نفسها فالقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيف يشاء . ثم لماذا تظل نفسية الزوجة من زوجها متغيرة منه بسبب التعدد ؟!! .

لو أنه لم يعدل أو لم يتق الله تعالى فى المعاملة والسلوك ، أو كان ظالماً ، لكان هناك وجه مقبول لهذا الكلام ، أما إذا كان يعدل ويتق الله تعالى ما وسعه ذلك فى زوجتيه فما هو العيب إذن ، وأين محل الإنكار ؟ .

ثم لماذا تظل المرأة حزينة ونفسيتها متعبة بسبب التعدد ؟!! .

هل ارتكب الزوج كبيرة من الكبائر ؟!! .

هل ضيَّع حقوق زوجته الأولى ؟!! .

هل مال للزوجة الثانية على حساب الزوجة الأولى ؟!!

فإن قلت : لا ، فاتق الله تعالى ولا تظلمى شرع الله تعالى فى شخص زوجك . إذن فالعيب فيك ، والنقص عندك ، فبادرى بالتوبة ، وإصلاح نفسك التى لم تُؤْثر شريعة الله تعالى على حظ النفس والهوى .

---

(١) سورة يوسف الآية « ٤٠ » .
(٢) سورة البقرة الآيات « ٦٣ ، ٦٤ » .

عن محمد بن كعب قال : قال موسى النبى ﷺ : « أى خلقك أعظم ذنباً ؟ قال : الذى يتهمنى ، قال : أى رب ، وهل يتهمك أحد ؟ قال : نعم ، الذى يستخيرنى ولا يرضى بقضائى » .

٢ - وجود حرج فى النفس من شرعية التعدد ، وتمني لو أن الله تعالى لم يشرع التعدد .

فلا شك أن أكثر النساء اللائى قد تزوج عليهن أزواجهن كنّ يتمنين لو لم يكن هناك تعدد فى الإسلام ، وفى ذلك أنانية وحب للذات فضلاً عن الجهل بأحكام الشريعة .

- لماذا لا تقبل المرأة زوجة أخرى لزوجها ما دام عادلاً غير ظالم ؟!! .
- ولماذا تجد فى نفسها حرج من التعدد ، والزوج يتق الله فيهما ؟! .

ثم ماذا تفعل وتقول المرأة المسلمة لو وقفت بين يدى الله تعالى يوم القيامة للحساب - يوم تبلى السرائر- هل ستستطيع وقتها أن تعترض وتذكر كل الحجج الواهية التى تذكرها الأن ، أم أنه الهوى والشيطان ، ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ (١) .

ثم لماذا لم تضع الزوجة الأولى نفسها مكان الزوجة الثانية - العانس أو الأرملة أو المطلقة - بكل مشاكلها المعقدة ، ونظرة المجتمع لها ؟! .

هل كانت سترفض أن تكون زوجة ثانية ، وتحل مشاكلها وتعيش حياتها كبقية مثيلاتها من النساء ، أم كانت ستوافق فوراً ، ولا تعتد بكل هذه الأقوال الساقطة ؟!! .

---

(١) سورة النور الآية « ٦٣ » .

الموقف الثاني

تحقيق معنى الإيمان بالقضاء والقدر قولاً وعملاً

روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق : « **إن أحدكم يُجمع خلْقه فى بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقى أم سعيد ، فوالله الذى لا إله غيره : إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وأن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها** » [١] .

وفى الصحيحين عن أنس عن النبى ﷺ قال : « **وكل الله بالرحم ملكاً يقول : أى رب نطفة ، أى رب علقة ، أى رب مضغة ، فإذا أراد الله أن يقضى خلقاً، قال : يارب أذكر أم أنثى ؟ ، أشقى أم سعيد ؟ ، فما الرزق فما الأجل ؟ فيكتب كذلك فى بطن أمه** » [٢] .

وروى مسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « **إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة** » [٣] .

ما من شك أيتها المرأة الصالحة أنك تؤمنين بعقيدة القضاء والقدر ،

---

(١) أخرجه البخارى « ٣٣١٦ » ، ومسلم « ٢٦٤٣ » .
(٢) أخرجه البخارى « ٩/٤٧٧ » ، ومسلم « ٢٦٤٦ » .
(٣) مسلم « ٢٦٥٣ » .

ولكن لماذا لا نرى لها أثراً عند الابتلاء والفتنة ؟ ، وإذا رأينا لها أثراً فإنا نراه باهتاً ضعيفاً ؟!! ، فإذا كان قد قدّر لك أن يتزوج عليك زوجك ، وقدّر له ذلك ، فلماذا تقولين له بين الحين والآخر :

لقد تعجلت فى زواجك بثانية ؟!! .

لماذا لم تتروى وتستشير وتسأل ؟!! .

لماذا تأخذ هذه الزوجة الجديدة ثمار سنوات عشتها معك ؟!! .

لماذا فعلت هذا وقد كنا مستقرين وسعداء ؟!! .

أين عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر ؟ !! .

وأنا أسألك ، هل تزوج دون علم الله أو دون مشيئته سبحانه وتعالى ؟!! .

هل تزوج دون أن يُقدر الله عز وجل له ذلك ؟!! .

ألم يُكتب عليه ذلك وهو لا يزال فى رحم أمه ؟!! .

إذن فلماذا بين الحين والآخر تقرعين سمعه ، لماذا تزوجت ؟! أكان ينقصك شيء ؟ ، إلى غير ذلك من الأسئلة التى لا فائدة من ورائها ، لا سيما إن كان قد تزوج بالفعل .

● أيتها المرأة الصالحة :

إن الإيمان بالقدر له مراتب أربع على أساسها تصح عقيدتك به ، وهى :

١ - الإيمان بعلم الله عز وجل المحيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات ، قال تعالى: ﴿ **عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ** ﴾ (١) .

٢ - الإيمان بكتاب الله تعالى الذى لم يفرط فيه من شيء ، قال تعالى : ﴿ **وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ** ﴾ (٢) .

---

(١) سورة سبأ الآية « ٣ » .

(٢) سورة يس الآية « ١٢ » .

٣ - الإيمان بمشيئته الله النافذة وبقدرته الشاملة ، فما شاء الله كونه فهو كائن بقدرته ، وما لم يشأ الله تعالى لم يكن ، لعدم مشيئة الله تعالى إياه ، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ (١) .

٤ - الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء ، فهو خالق كل عامل وعمله ، وكل متحرك وحركته ، وكل ساكن وسكونه ، وما من ذرة فى السموات ولا فى الأرض إلا الله سبحانه وتعالى خالقها وخالق حركاتها وسكناتها ، سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه .

● **فإذا تأصلت هذه الأصول فى نفسك ، واستقرت فى قلبك فزت بثمراتها وهى :**

أ - الطمأنينة والراحة النفسية بما يجرى عليك من أقدار الله تعالى ، فلا تقلقى بفوات محبوب أو حصول مكروه ، لأن ذلك بقدر الله الذى له ملك السموات والأرض وهو كائن لا محالة ، وفى ذلك يقول الله تعالى : ﴿ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٢) .

ب - لا مكان فى القلب لمعنى « لو أنى فعلت كذا كان كذا » .

فقد تظنين مثلاً لو أنك فعلت كذا ما تزوج زوجك مثلاً ، فتتحسرى ، وفى الحقيقة أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، فالذى كُتِب للإنسان هو الذى يتحصل عليه ، والذى لم يكتب له فلن يتحصل عليه ، ولن يناله بحال من الأحوال .

جـ - الرضا والتسليم التام بقدر الله عز وجل وقضائه ، وأعلى من ذلك شكر الله تعالى عليه ، فربما يقدر الله عز وجل على عبده - بحكمته وعدله -

---

(١) سورة يس الآية « ٨٢ » .
(٢) سورة الحديد الآية « ٢٣ » .

قدراً فى ظاهره أنه شرٌ للإنسان ، ثم يظهر بعد ذلك خيره وفضله ، فيندم على تسخطه واعتراضه عليه .

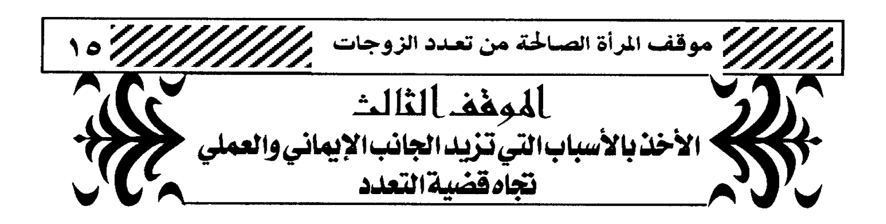
إن المرأة المسلمة عندما تعلم أن كل ما يقضيه الله عز وجل هو عين الحكمة والرحمة والخير سواء فى العاجل أو الآجل ،فإن هذه المعرفة تضفى على قلبها الشعور بالطمأنينة والسكينة والرضا مهما كان الأمر قاسياً عليها ، وبذلك تَسْلم هى من تلك الأمراض والوساوس التى يلوكها الكثير من الناس الذين حُرموا مثل هذه المعرفة العظيمة .

[إن التسخط وعدم الرضا بما قضاه الله عز وجل باب إلى الهم والغم والحزن وشتات القلب وسوء الحال ، وسوء الظن بالله ظن السوء ، ولا يدفع ذلك كله إلا معرفة الرب عز وجل بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى والتعبد له سبحانه بها ، والعمل بمقتضاها ، والذى يورث فى النفس الرضا بما يختاره الله عز وجل ، وأنه أرحم بعبده من نفسه ﴿ **إنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [1]] [2] .

إن التسخط وعدم الرضا بقضاء الله وقدره لا طائل من ورائه ، فالقضاء مفروغ منه ، والقدر واقع والأقلام قد جفت ، والصحف قد طويت ، والتسخط لن يقدم شيئاً أو يؤخره ، وما دام الله عز وجل يعلم ونحن لا نعلم ، فلماذا لا نستقبل أقضيات الله تعالى وأقداره بنفس إيمانية يغمرها حب الله وحده ، وحب رضاه والرغبة فى جنته وجواره يوم القيامة ؟!! .

---

(١) سورة النحل الآية « ٧٣ » .
(٢) لا تحسبوه شراً لكم ، لعبد العزيز ناصر الجليل ، ص « ٧١ » .



الموقف الثالث
الأخذ بالأسباب التي تزيد الجانب الإيماني والعملي تجاه قضية التعدد

فمن أخطر وأهم الأسباب التى حملت كثير من الناس على معاداة قضية التعدد أو الوقوف منها موقف من فى قلبه شيء منها – على استحياء – : ضعف الجانب الإيمانى والعملى عندهم ، والمرء بطبيعته عدو ما يجهل .

لذا فإننا بحاجة إلى زيادة هذا الجانب الإيمانى وذلك يتحقق بعدة أمور أهمها :

● **أ – مرافقة الصالحين والصالحات :**

وأعنى بمرافقة الصالحين أى العلماء والدعاة من خلال دروسهم وخطبهم وكتبهم ومحاضراتهم المسجلة على شرائط والمنتشرة الآن ، فهم أهل العلم الذين يبصروننا بديننا ، ويحلون لنا كل ما استشكل علينا من أمور الدين .

أما مرافقة الصالحات : فلأن تربية المسلمة بالمصاحبة من أهم وسائل التربية ، لأن الإنسان مدنى بطبعه ، يتأثر بمن حوله يتحلى بأخلاقهم ، وأنماط سلوكهم ، إن خيراً فخيراً ، وإن شراً فشر .

قال ﷺ :« **المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل** » [(١)] .

وفى مصاحبتهم فوائد عدة أهمها :

١ – تعلم العلم والفقه الذى به تُنفى الشبهات ، وبه يُعبد الله حق عبادته .

٢ – إتخاذهم قدوة والتأثر بأخلاقهم وسلوكهم مما يكون له أكبر الأثر على نفسية المعايش لهم .

---

(١) رواه أبو داود والترمذى وقال الأرناؤط إسناده حسن .

٣ – الإلتجاء إليهم بعد الله سبحانه وتعالى فى النوازل والشدائد والتى يجد فيها الشيطان فرصة لإثارة الشبهات ، وزعزعة الإيمان ، وإساءة الظن بالله .

٤ – الحماس للطاعات ، فإذ رأيت صيام الصالحات تحمست ، وإذا رأيت قيام القائمات اندفعت ، وإذا رأيتِ التاليات لكتاب الله عز وجل أقبلت وقرأت ، وهكذا .

٥ – الحماية من الانحراف ، فلولاهم – بعد فضل الله تعالى – لأصبحت فريسة للشيطان ، ولتعرضت لأنواع من الانحرافات الفكرية والسلوكية .

٦ – الاستشارة الطيبة والوصول إلى الرأى السديد فى كل ما يعن للمسلمة من مشاكل . أعرف اختاً مسلمة لما تزوج زوجها بزوجة ثانية ، زارتها أخت لها فى الله تؤازرها وتثنى عليها موقفها ، وتوصيها بتقوى الله عز وجل ، وتذكرها بأجرها عند الله تعالى ، وتوصيها بزوجها خيراً .

● **ب – ترسيخ عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر فى القلب** :

فعندما تتخلف هذه العقيدة ولا يكن لها حظ إلا الظاهر فقط ، فإن النفس سرعان ما ينكشف ضعفها إذا هبت عليها رياح محنة أو اختبار .

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فى حديث دعاء الهم والحزن قوله ﷺ : « .... **ماضٍ فيَّ حكمك ، عدل فيَّ قضاؤك** » ... علق الإمام ابن تيمية على ذلك بقوله :

« تضمن هذا الكلام أمرين :

أحدهما : إمضاء حكمه فى عبده .

والثانى : يتضمن حمده وعدله ، وهو سبحانه له الملك وله الحمد ، وهذا معنى قول نبيه هود عليه السلام :﴿ **مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا** ﴾ [1] ثم

---

(١) سورة هود الآية « ٥٦ » .

قال: ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [١] ، أى مع كونه مالكاً قاهراً متصرفاً في عباده ، نواصيهم بيده، فهو على صراط مستقيم وأمره وهو العدل الذى يتصرف به فيهم ، فهو على صراط مستقيم فى قوله وفعله وقضائه وقدره وأمره ونهيه وثوابه وعقابه، فخبره كله صدق ، وقضاؤه كله عدل ، وأمره كله مصلحة ، والذى نهى عنه كله مفسدة ، وثوابه لمن يستحق الثواب بفضله ورحمته ، وعقابه لمن يستحق العقاب بعدله وحكمته» [٢] .

فما دام حكم الله ماضٍ فى العبد لا محالة ، لا يمنعه أحد ، وعدلٌ فى قضائه ، فلن يقض على أحد بشيء إلا بعدل ورحمة وفضل منه ، فلماذا إذن تهتز المرأة المسلمة وتتزعزع عقيدتها وقت الشدة ؟!!! ، اللهم إلا إذا كانت عقيدتها ضعيفة .

عن مكحول الأزدى قال : سمعت ابن عمر رضى الله عنهما يقول : « إن الرجل يستخير الله تبارك وتعالى فيختار له ، فيسخط على ربه عز وجل ، فلا يلبث أن ينظر فى العاقبة فإذا هو خيْر له » .

● جـ - الإعتزاز بشرع الله تعالى :

فكلنا أسرى فى أيدى الشريعة ، فمن منا ينصر شريعة الله تعالى ؟ .

(إن الإستعلاء ليس مصدره قوة مادية أو معنوية من قوى الأرض ، ليس مصدره المال ، ولا الإنتاج المادى ، ولا العصبية القومية ، ولا العصبية العنصرية ، ولا أى معنى من هذه المعانى التى يستعلى بها الناس فى جاهليتهم المتكررة على مدار التاريخ ، إنما الاستعلاء مصدره الإيمان وحده) [٣] .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ

(١) سورة هود الآية « ٥٦ » .
(٢) الفوائد ، ص « ٢٣ » .
(٣) هل نحن مسلمون - محمد قطب - ص ٤٧ .

لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥) ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (٢) .

إن المسلمة إذا افتقدت إلى اعتزازها بدينها وبشريعة ربها ولو فى جانب واحد من جوانب الشريعة ، فإنها ولا شك ستظهر بصورة باهتة بعيدة تماماً عن الإلتزام الجاد بهذا الدين ، فى الوقت الذى يجب أن يكون الاعتزاز بالدين أصل أصيل عند المسلمة ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) ﴾ (٣) ، فالاعتزاز بالهوية الإسلامية يجعل المسلمة تفخر بأنها من المسلمين قولاً وعملاً ، وقال تعالى أيضاً : ﴿ مَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً (١٢٥) ﴾ (٤) . وقال تعالى أيضاً مبيناً شرف هذه الهوية : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (٥) .

إن اعتزاز المسلمة بدينها هو فى الحقيقة انتماء لله تعالى ، وانتماء إلى رسول الله ﷺ ، وإنتماء إلى عباد الله الصالحين وأوليائه المتقين، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (٦) .

يقول الشاعر :

وممـا زادنى شرفاً وفخراً ... وكدتُ بأخمصى أطـء الثُريا

دخولى تحت قولك يا عبادى ... وأنْ صيَّرت لى أحمد نبياً

(١) سورة الحديد الاية « ٢٥ » .
(٢) سورة محمد ﷺ الآية « ٧ » .
(٣) سورة فصلت الآية « ٣٣ » .
(٤) سورة النساء الآية « ١٢٥ » .
(٥) سورة آل عمران الآية « ١١٠ » .
(٦) سورة المائدة الآية « ٥٦ » .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « كنا أذلَّ قوم أعزنا الله بهذا الدين ، فمهما نبتغي العزَّ فى غيره أذلنا الله » .

● وصدق من قال :

إن الاعتزاز بالإسلام ، والفخر بأحكامه الإلهية ، والاستعلاء بها على كل ما خالفها من نظم ومناهج هو مفتاح عودتنا إلى الإسلام ، وعودة الإسلام إلى حياتنا .

فلتحذر المسلمة أن تضل طريق الاعتزاز بدينها لأن زوجها تزوج عليها ، لا سيما إن كان صالحاً عادلاً بين زوجتيه ، بل تقف موقف المرأة الصالحة التى تعتز بهويتها الإسلامية ، وتقول بأعلى صوتها وهى واثقة من نفسها :

« إن زوجى رجل صالح ، تزوج لله ، ونصرة لشرع الله عز وجل، الذى يجب أن نفتخر ونعتز به جميعاً » .

إن مصدر عزتك أختى المسلمة هو أن تعودى إلى مصدر العزة وهو الكتاب والسُّنة ، فإن وجدت زوجك يخالف بزواجه الجديد الكتاب أو السُّنة فلينُصح ويُنكر عليه ما خالف الشرع أمَّا إذا وجدتيه لا يخالف الشرع فاتقى الله تعالى .

إن عزة نفسك بانتسابك إلى الله يكسبك ثقة عالية بنفسك وعقلك وقدراتك وإدراك ، فلا تخضعى حينئذ لأية قوة مهما عتت ، ولا لأى مبدأ أو هوى غير هدى الله ، ولا تطأطئ هامتك إلا لجبار السموات والأرض .

إن عزة المسلمة تأبى عليها أن تسير فى قافلة أصحاب الهوى والتقليد الباطل .

إن عزة المسلمة تأبى عليها أن تعظم أعراف وتقاليد تخالف شرع ربها .

إن عزة المسلمة تأبى عليها إلا أن تأتمر بأمر الله ، وتخضع لحكم الله ، بل ترضى وتسلم ، لأن شخصية المسلم شخصية قيادية رائدة ، تقود ولا تنقاد ، فلا

تخضع لأحد ولاتذل ولا تنقاد ولا تأتمر إلا بأوامر الله ، ولا تنتهي إلا عما نهى الله عز وجل عنه ، وهكذا يجب أن تكون المسلمة قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (١) .

د - سؤال أهل العلم :

العلماء هم سراج العباد ، ومنار البلاد ، وقوام الأمة ، وينابيع الحكمة ، وهم غيظ الشيطان ، وبهم تحيا قلوب أهل الحق ، وتموت قلوب أهل الزيغ ، وإن مثلهم فى الأمة كمثل النجوم فى السماء يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر ، إذا انطمست النجوم تحيروا ، وإذا أبصر عنها الظلام أبصرهم ، ولولاهم - بعد فضل الله تعالى - ما استطعنا أن نستنشق عبير الإسلام .

قال ميمون بن مهران رحمه الله : « العلماء هم ضالتى فى كل بلد ، وهم بغيتى إذا لم أجدهم وجدتُ صلاح قلبى فى مجالسة العلماء » .

وقال الإمام أحمد : « الناس أحوج إلى العلم منهم إلى الطعام والشراب ، لأن الطعام والشراب يُحتاج إليه فى اليوم مرتين أو ثلاثاً ، والعلم يُحتاج إلى فى كل وقت » .

وقال الإمام أبو بكر الآجرى رحمه الله : « هكذا العلماء فى الناس ، لا يعلم كثير من الناس كيف أداء الفرائض ، ولا كيف اجتناب المحارم ، ولا كيف يعبد الله فى جميع ما يعبده به خلقه إلا ببقاء العلماء ، فإذا مات العلماء تحيَّر الناس ، ودرس العلم بموتهم وظهور الجهل» .

عن أبى الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن**

---

(١) سورة البقرة الآية « ١٤٣ » .

العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يُورثوا ديناراً ولا درهماً ، ولكنهم ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » [١] .

لذا فإنه يجب على المرأة الصالحة أن تسأل أهل العلم فيما يعّنُ لها من مسائل ومشاكل ، ولا تدع لنفسها أو لغيرها – ممن لا ناقة لهم ولا جمل فى العلم – الإفتاء فى دين الله تعالى بغير علم ، أو الكلام فى دين الله تعالى على غير بصيرة ، فإن للعلم أهله ، وللجهل أهله .

وعليها أيضاً قبل أن تنكر على زوجها مسلكاً من مسالك التعدد ، أن تسأل أهل العلم الثقات وتستفسر وتفهم قبل أن تصيب قوماً بجهالة فتصبح على ما فعلت نادمة وظالمة .

● **وأما الجانب العلمى فيتحقق بعدة أمور أهمها :**

أ – دراسة تشريع التعدد بتجرد وصدق وإخلاص ، فمعرفة حكمة تشريع الله تعالى للتعدد ، وأهميته وفضله ، يوسع مداركنا وفهمنا وعقولنا لاستيعاب هذه القضية .

ب – تجريد النفس من الهوى والتعصب ، فليس هناك معنى للتشدق بأهمية التعدد وفضله وأهميته ، ثم إذا ما تزوج زوج أختى عليها أقف منه موقف المعادى ، أو يكون فى نفسى منه شىء بسبب التعدد . إن الواجب هو تجريد النفس من هواها ، ومن تعصبها لقريب أو صديق ، ويكون التعصب الممدوح فقط للإسلام .

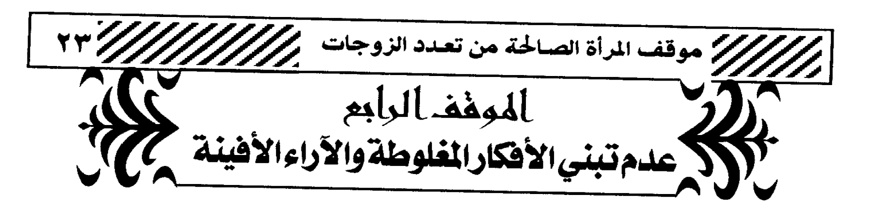
جـ – معرفة الشبهات المثارة حول التعدد من أعداء الإسلام ، سواء كانوا كفاراً أو علمانيين أو مفكرين محسوبين على الإسلام ، ومعرفة الردود العلمية عليها بأقوال أهل العلم الثقات .

---

(١) رواه الإمام أحمد والدارمى وأبو داود وغيرهم ، وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب «٣٣/١» .

هـ - تعظيم مشاعر الأخوة فى الله ، والإحساس بهموم المسلمين والتعايش معها ، ومحاولة حلها ، ومن ذلك تصور أخت لله أو قريبة أو ابنة وقد طلقت أو ترملت بسبب وفاة زوجها ، ماذا تفعل فى الحياة وحدها ؟ وما مشاعرها لا سيما إن كانت صغيرة تريد أن تنعم بحياتها كمثيلاتها من النساء ؟ وقد تقدم لها من يريدها زوجة ثانية ليحوطها ويرعاها ويكفها عن الحاجة لأحد ، ويعينها على العفة وتقوى الله تعالى .





الموقف الرابع
عدم تبني الأفكار المغلوطة والآراء الأفينة

فالإسلام يجب أن يكون أعز على القلب مما عداه من النظم والمناهج والأفكار والناس .

وتبنى الأفكار المغلوطة التى يرددها شياطين الإنس والجن ، يضعف إيمان المسلم والمسلمة ، بل أحياناً يشككه فى دينه أو فى بعض شرائعه .

ومن الأفكار المغلوطة التى يرددها أعداء الإسلام وتلوكها ألسنة جمهرة كبيرة من المسلمين السذج قولهم :

١ – ليس هناك أى سبب لكى يتزوج عليها .

٢ – لماذا تزوج عليها ؟!!! وهى لم تقصر معه فى شىء ، فضلاً عن أدبها وحُسن خُلقها ؟!!! .

٣ – من يتزوج على زوجته بدون سبب أو بدون رضاها رجل غير محترم !! .

٤ – من توافق على أن تتزوج برجل متزوج فهى امرأة غير محترمة !!! .

٥ – من يتزوج على زوجته فهو إما أن يكون قادراً أو فاجراً !!! .

٦ – فتح بيت جديد معناه توزيع الرزق على بيتين بدلاً من بيت واحد !!! .

٧ – الزواج بزوجة ثانية كفر بنعمة الله ، وهى الزوجة الأولى !!.

٨ – التعدد نزوة والرجوع إلى الحق فضيلة !! .

٩ – ما ذنب الأولاد الذين سيتأثرون نفسياً بفراق الأب بعض الأيام ؟! .

١٠ – عدم قيام الأب بواجب التربية الكامل تجاه أولاده نظراً لتغيبه عنهم بعض الأيام !! .

١١ – لماذا لا يراعى الرجل نفسية المرأة المحطمة بسبب التعدد ؟ وما ذنبها لكى

يتزوج عليها ؟!!! .

وهذه الشبهات وما شابهها تنم عن جهل أصحابها بالدين ، وتعصبهم لبناتهم أو أخواتهم لغير سبب شرعى ، فضلاً عن التقليد الأعمى لأفكار المجتمع الذى يرفض شريعة التعدد .

ولأصحاب هؤلاء الشبهات نقول :

● **أولاً** : ليس هناك دليل شرعي من كتاب أو سُّنة يوجب على الرجل إذا أراد أن يعدد أن يكون هناك سببٌ لذلك ، فإن كان عندكم دليل فهاتوا برهانكم إن كنتم صادقين! .

● **ثانياً** : الذين يقولون ما ذنب الزوجة الأولى كى تحطم نفسياً بالزواج الثانى وهى التى لم تقصر معه ولا تزال تعيش معه منذ سنوات عديدة إلى غير ذلك ، نقول لهم :

قولكم هذا هو مثل من يقول : « ما ذنب من صدمته سيارة فى الطريق وهو يعول أسرة مثلاً مكونة من عدة أفراد ، فقدوا بسبب هذه الحادثة عائلهم بعدما كانت الحياة مستقرة بهم ، وما ذنب من وقع عليه هدم فقطعت رجلاه وأصبح عاجزاً فى البيت؟!! ، إلى غير ذلك من الاعتراض الأجوف . أليس فى ذلك نوع من القدح فى شريعة الله تعالى والاعتراض على قدره ؟ .

إن الله تعالى لم يشرع تشريعاً من شأنه أن نقول ما ذنب هذا وما ذنب هذه ، بل تشريع الله تعالى هو خير لكل الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون . حتى إذا كان التشريع فى ظاهره خيراً . لهذا وابتلاءً لآخر ، فهذا مُلْكُ الله عز وجل يصرفه كيف يشاء ، وما علينا إلا الرضا والتسليم .

ثم لماذا لم نفكر فى مشاكل المطلقات والأرامل والعوانس ؟!! .

لماذا لم نقل ما ذنب المطلقة التى ابتليت بزوج لم تنسجم معه الحياة لأى سبب ، وذابت بينهما معانى المودة والرحمة ، فكان الطلاق هو العلاج ، ما

ذنبها والمجتمع اليوم ينظر لها نظره لا ترحم !! .

ولماذا لم نقل ما ذنب الأرملة التى فقدت عائلها ، وهى فى أمس الحاجة لسند يقف بجوارها ويعولها هى وأولادها إن كان لديها أولاد !!! .

لماذا نحرم هؤلاء جميعاً من متعة الحياة الطبيعية عن طريق وسيلة شرعية أباحها الشرع وهى التعدد ؟!!! .

ثم ما معنى الذنب الذى تلوكه ألسنتكم عندما يعدل الرجل فى النفقة والمبيت وهو العدل الواجب عليه ؟ ثم إنه فى مجتمعات أخرى كمجتمعات الخليج الذى اعتاد أهله على التعدد وأصبح عندهم أمراً عادياً ، لماذا لم يبرز هذا السؤال عندهم « ما ذنب الزوجة الأولى » ، إذن العيب فيكم وليس فى التعدد .

● **ثالثاً** :من الطامات الكبرى الإفتاء فى دين الله تعالى بغير علم ودليل والتحدث فى الدين دون أى حرج بغير أصول علمية نعتمد عليها ، حتى أصبح الأمىّ [(١)] يفتى ويتحدث فى الدين كالعالم تماماً ، وهذا هو ما يحدث من أصحاب الأفكار العفنة والأقوال المهزوزة ، الذين يقفون بجانب الزوجة الأولى فقط ، ولا يقفون بجانب الشرع .

انتصروا لفلان أو فلانة ولم ينتصروا لديه الله تعالى ؟!.

● **رابعاً** :المصالح المترتبة على التعدد أكبر بكثير من أقوال أصحاب هذه الشبهات ، وهذا بينٌ إن شاء الله لو كان عندهم أثارة من علم ، وتجردوا من الهوى والتعصب .

● **خامساً** :إن النماذج السيئة لكثير من الرجال الذين عدّدوا ، أسأوا بلا شك لشريعة التعدد ، ولكن لابد أن نعلم أن الحق لا يعرف بالرجال ، بل

---

(١)أعنى بالأمىّ كل جاهل فى الدين ، أو من ليس عنده من الدين إلا القشور ، حتى وإن كان حاصلاً على أعلى الشهادات العلمية .

الرجال يعرفون بالحق وأن كل واحد يؤخذ من قوله ويرد إلا المعصوم ﷺ .

● **سادساً** :أما قضية توزيع الأرزاق فصاحب هذا الرأى جاهل بالله تعالى ، لأن الأرزاق مقدرة ، وكلٌ آتيه رزقه رغم أنف كل معارض ومعاند .

أما كُتب رزق ابن آدم له وهو فى رحم أمه بعدما نفخ الملك فيه الروح (١) ، فقد قال تعالى : ﴿ **وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ۝٦** ﴾ (٢) .

ثم ألا تدرون أن سعة الرزق مرتبطة بتقوى الله تعالى ، أى أن الأعمال الصالحة لها أثر مباشرة فى الرزق .

قال تعالى : ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝٩٦** ﴾ (٤) .

خرج عمر بن الخطاب يستسقى فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فأُمطروا ، فقالوا : ما رأيناك استسقيت، فقال : « لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التى يُستنزل بها المطر ، ثم قرأ ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١** ﴾(٥) .

ومن ثمار الاستغفار توسيع الرزق ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، قال تعالى : ﴿ **وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ**

---

(١) كما فى حديث عبد الله بن مسعود عند البخارى ومسلم وقد مر .
(٢) سورة هود الآية « ٦ » .
(٣) سورة الطلاق الآيات « ٣ ، ٤ » .
(٤) سورة الأعراف الآية « ٩٦ » .
(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى « ١٨ / ٣٠٢» ، سورة نوح الآيات « ١٠، ١١ » .

مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٣) ﴾ [(١)] .

فهنيئاً لكل من كان سبباً فى كفالة أرملة وأولادها إن كان لديها أولاد .

وهنيئاً لكل من كان سبباً فى مسح دمعة مطلقة .

وهنيئاً لكل من أدخل الفرح والسرور على فتاة عانس .

هنيئاً لكل من كان عمله خالصاً لوجه الله تعالى ، ويابشرى له من الله تعالى فى الدنيا والآخرة ، أن يُخلف عليه ويزيده من فضله ، ولكن أكثر الناس لا يفقهون .

فأى قلق على الرزق بعد ذلك يا أصحاب القلوب الضعيفة ؟! .

● **سابعاً** : كلُ من فى نفسه شيء من التعدد يحاول أن يُلقى بشبهة أو يتبنى أى شبهة ظناً منه أنه على الحق ، وهذا ليس من العدل فى شيء ! .

فالذى يظن أن أولاده سيتأثرون نفسياً بفراق الأب بعض الأيام بسبب غيابه عنهم ، أو أنه لن يقوم بواجب التربية الكامل تجاههم ، أقول له : وما قولك إذا كان غياب الأب عنهم بسبب عمل جديد مثلاً يعمله ، لماذا تطفو هذه الشبهة على السطح أو تظهر عندما عدَّد الرجل ؟!!! ، إذن القضية ليست فى غيابه ، وإنما هى فى التعدد أولاً وأخيراً ، وإلا فهناك من الرجال من لا يفارق أولاده ولا بيته ، وقد سقطت قوامته داخل البيت ولا يشعر به أولاده وكأنه غير موجود .

وهناك من الرجال من يمكثون فى أعمالهم أكثر مما يمكثون فى بيوتهم ، ومع ذلك تسير دفة البيت باقتدار وحكمة ، ولا توجد أى مشاكل ذات شأن بسبب غيابه .

---

(١) سورة هود الآية « ٣ » .

● **ثامناً** : احذروا التقليد الأعمى :

هذه الشبهات السابقة والأفكار المغلوطة كثيراً ما يتناقلها الناس ، ويتبادلونها تقليداً لمن قبلهم ، واتباعاً لغيرهم - من أهل الأهواء ، لأنها توافق فى نفوسهم أشياء، والأصل فى المسلمة أن تتبع الحق ولا تتبع غيره ، وأن تحذر التقليد والمقلدين فى الباطل ، وقد ورد فى كتاب الله عز وجل آيات تزم التقليد والمقلدة فى الباطل، فمن هذه الآيات :

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ (١٧٠) ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ (١٠٤) ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ (٢١) ﴾ (٣) .

وقوله تعالى : ﴿ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ (٢١) بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ (٢٤) فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٢٥) ﴾ (٤) .

---

(١) سورة البقرة الآية « ١٧٠ » .
(٢) سورة المائدة الآية « ١٠٤ » .
(٣) سورة لقمان الآية « ٢١ » .
(٤) سورة الزخرف الآيات « ٢١ - ٢٥ » .

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ (٢) .

ولنا أن نتصور أيضاً كيف تكون العلاقة بين الأتباع والمتبوعين يوم القيامة ، وبين المقلدين ومن قلدوهم ، حتى وإن كانوا آباءهم ، أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أو أولادهم ، أو زوجاتهم ، أو أزواجهن .

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾ (٣) .

قال الطبرى رحمه الله فى تفسيره والصواب من القول عندى فى ذلك : أن الله تعالى ذكره أخبر أن المتبعين على الشرك بالله يتبرأون من أتباعهم حين يعاينون عذاب الله ولم يخصص بذلك منهم بعضاً دون بعض، بل عم جميعهم، فداخل فى ذلك كل متبوع على الكفر بالله.والضلال أنه يتبرأ من أتباعه الذين كانوا يتبعونه على الضلال فى الدنيا ، إذا عاينوا عذاب الله فى الآخرة (٤) .

وهذه البراءة – أى براءة المعبودين من عابديهم – وردت فى أكثر من

---

(١) الجاثية الآيات « ١٨ ، ١٩ » .
(٢) سورة الأحزاب الآيات « ٦٧ – ٦٨ » .
(٣) سورة البقرة الآيات « ١٦٥ – ١٦٧ » .
(٤) التسهيل لتأويل التنزيل للشيخ مصطفى العدوى « ٢/٥٤٣-٥٤٤ » .

موضع في كتاب الله عز وجل ، فمن ذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ﴾ (١) .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ (٦٧) ﴾ (٣) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٦٢) قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (٦٣) وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ (٦٤) ﴾ (٤) .

● أما الأدلة التفصيلية :

فالملائكة تتبرأ من عابديها ، قال الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ (٤١) فَالْيَوْمَ لا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (٤٢) ﴾ (٥) .

وكذلك الشيطان يتبرأ من تابعيه ، قال الله سبحانه : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢) ﴾ (٦) .

---

(١) سورة البقرة الآية « ١٦٦ » .
(٢) سورة الأعراف الآية « ٣٨ » .
(٣) سورة الزخرف الآية « ٦٧ » .
(٤) سورة القصص الآية « ٦٢ ، ٦٤ » .
(٥) سورة سبأ الآيات « ٤٠ ، ٤٢ » .
(٦) سورة إبراهيم الآية « ٢٢ » .

وكذلك الأوثان تتبرأ من عابديها ، قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ (١) .

فيا من يقف فى صف الباطل ويعرض عن الحق ، ويامن تنتصر لنفسها ولا تنتصر للحق ، ويامن تعظمون شعائر التقليد والأهواء ولا تعظمون شعائر الله تعالى :

أين أنتم جميعاً يوم تنقطع بينكم الصلات التى كنتم تتواصلون بها فى الدنيا من رحم وغيره ؟ ، أين أنتم جميعاً يوم ترون أعمالكم حسرات عليكم ، وأنتم لم تقيموا للدين وزناً ؟! .

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) ﴾ (٢) .

قال تعالى : ﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ (١٤) كَلاَّ إِنَّهَا لَظَىٰ (١٥) نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ (١٦) تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ (١٨) ﴾ (٣) .

هذان المشهدان من مشاهد يوم القيامة يصوران لنا موقفاً عجيباً يجب أن نقف أمامه معتبرين ومتدبرين يوم يفر المرء من ألصق الناس به ، أولئك الذين تربطهم بهم وشائج وروابط لا تنفصم ، وفى هذا اليوم تتمزق كل الروابط وتقطع كل الوشائج ، الناس كلهم فى هذا اليوم فى هم شاغل ، لا يدع لأحد منهم أن يفكر إلا فى نفسه ولا يجد مهلة لكى يفكر فى غيره أو يشعر به «

---

(١) سورة العنكبوت الآية « ٢٥ » .
(٢) سورة عبس الآية « ٣٤ ، ٣٧ » .
(٣) سورة المعارج الآيات « ١١ – ١٨ » .

فلقد قطع الهول المروّع جميع الوشائج ، وحبس النفس على همها لا تتعداه وإنهم ليُعرضون بعضهم على بعض ﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ ﴾ كأنما عمداً أو قصداً ولكن لكل منهم همه ، ولكل ضمير منهم شغله ، فلا يهجس في خاطر صديق أن يسأل صديقه عن حاله ، ولا أن يسأله عونه ، فالكرب يلف الجميع ، والهول يغشى الجميع .

فما بال المجرم ؟ إن الهول يأخذ بحسه ، وإن الرعب ليذهب بنفسه ، وإنه ليود لو يفتدى من عذاب يومئذ بأعز الناس عليه ، ممن كان يفتديهم بنفسه فى الحياة ، ويناضل عنهم ويعيش لهم ... بنيه وزوجه ، وأخيه وعشيرته القريبة التى تؤويه وتحميه .

بل إن لهفته على النجاة لتفقده الشعور بغيره على الإطلاق ، فيود لو يفتدى بمن فى الأرض جميعاً وهى صورة للهفة الطاغية والفزع المذهل ، والرغبة الجامحة فى الإفلات من صورة مبطنة بالهول ، مغمورة بالكرب ، موشاة بالفزع ، ترتسم من خلال التعبير القرآنى الموحى » [١] .

فيا من تناضلون عن غيركم بغير حق ، ثوبوا إلى رشدكم قبل الوقوف بين يدى الملك الجبار ، ويامن تنتصرون لأقرب الناس إليكم بغير حق ، أعزوا دين الله يعزكم الله ، اعتبروا جميعاً بالموقف يوم القيامة ، قبل الندم وفوات الأوان .

يامن أنفاسه عليه معدودة ، وأبواب التقى فى وجهه مسدودة ، وأعماله بالنفاق والرياء عليه مردودة ، ومحبة التفريط معه مولودة :

كم أسرعت فيما يؤذى دينك وراَءيت [٢] ؟ .

كم خرقت ثوب إيمانك وما رأيت ؟ .

---

(١) فى ظلال القرآن « ٦ / ٣٦٩٧ » .

(٢) من الرياء .

كم قد فاتك من خير وما اكتسبت ؟ .

يا كساب الخطايا ما كسبت ، تؤثر ما يفنى على ما يبقى ما أصبت ، تصبح تائباً فإذا أمسيت كذبت ، تمشى مع اليقين فإذا قاربت انقلبت ، تعمر ما لا يبقى وما يبقى خربت ، تأنس بالدينا وغرورها وقد جربت إلى كم تُنمى الذنوب ، لقد آن لك أن تتوب ، أفق أيها السابح فى بحر الغمرات .

واستدرك وقتك قبل انصرام الأوقات .

يا عليل الآثام لم لا تلزم جناب طبيبك ؟ .

يا صريع الغرام لم لا تقرع باب حبيبك ؟ .

أما رفع لك الحجاب ؟ .

أما ضمن لك المتاب ؟ .

أما سمعت قوله فى الكتاب : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ ﴾ (١) .

ما تقول يا متقطعاً إذا قيل لك : أى قاطع قطعك عنا ؟ أى مانع منعك عنا ؟ (٢) .

---

(١) سورة طه الآية « ٨٢ » .
(٢) المواعظ والمجالس لابن الجوزى رحمه الله .

الموقف الخامس
العدل في القول والعمل

إن من أقوى أسباب الاختلاف بين الناس بصفة عامة – وبين الزوجين بصفة خاصة – الظلم والاعتداء ، وفقدان العدل والإنصاف .

ولو جاهد كل واحد منّا نفسه لتحقيق صفة العدل على نفسه ومع الناس ، فإن كثيراً من المشاكل بين المسلمين ستحل وتزول بإذن الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** (١٨) ﴾ [(١)] .

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله معلقاً على قوله تعالى : ﴿ **قَائِمًا بِالْقِسْطِ** ﴾ .

« فإن الإستقامة والاعتدال متلازمان ، فمن كان قوله وعمله بالقسط كان مستقيماً ، ومن كان قوله وعمله مستقيماً كان قائماً بالقسط ، ولهذا أمرنا الله عز وجل أن نسأله أن يهدينا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

وصراطهم هو العدل والميزان ليقوم الناس بالقسط ، والصراط المستقيم هو العمل بطاعته وترك معاصيه ، فالمعاصى كلها ظلم مناقض للعدل مخالف للقيام بالقسط والعدل » [(٢)] .

وقال تعالى أيضاً : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلا**

(١) سورة آل عمران الآية « ١٨ » .
(٢) مجموع الفتاوى « ١٤ / ١٧٩ » .

تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥) ﴾ (١) .

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله :

« يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوامين بالقسط ، أي : بالعدل ، فلا يعدلوا عنه يميناً ولا شمالاً ، ولا تأخذهم في الله لومة لائم ، ولا يصرفهم عنه صارف ، وأن يكون متعاونين متساعدين متعاضدين متناحرين فيه » (٢) .

وقال سبحانه تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨) ﴾ (٣) .

وقال تعالى أيضاً :﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) ﴾ (٤) .

وروى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن المقسطين عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن – وكلتا يديه يمين – الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وما ولوا** » (٥) .

وكان من دعائه ﷺ :« **.... وأسألك كلمة الحق والعدل في الغضب والرضى** » (٦) .

وهذا العدل لابد أن يسيطر عليه روح المحبة والإخلاص من الزوجة لزوجها ، فلا تقف منه ابتداءً موقف الناقدة المحاربة لزوجها ، الحاقنة عليه

---

(١) سورة النساء الآية « ١٣٥ » .
(٢) تفسير القرآن العظيم « ٤١٢/٢ » .
(٣) سورة المائدة الآية « ٨ » .
(٤) سورة الأنعام الآية « ١٥٢ » .
(٥) الإمارة برقم « ٢٨٢٧ » .
(٦) رواه النسائي .

بسبب التعدد ، بل تحاول أولاً استيعاب الموضوع من الناحية الشرعية تماماً ، بمعنى حتى لو أنه لم يتزوج بثانية لسبب ما كحل مشكلة أرملة أو عانس أو كفالة أرملة ، فإنه يشرع للرجل الزواج بأكثر من واحدة لغير سبب ، والذى شرع ذلك هو خالق السموات والأرض .

ويجب عليها ثانياً ألا تنسى حسناته وعشرته لها وحُسن معاملته معها ، وحشد كل ذلك أمام ما تكره من زواجه عليها ، فقد تنغمر هذه الكراهية أو هذا الضيق أو هذا الاعتراض فى بحر حسناته .

« والله سبحانه يوازن يوم القيامة بين حسنات العبد وسيئاته ، فأيهما غلب كان التأثير له ، فيفعل بأهل الحسنات الذين آثروا محابه ومراضيه ، وغلبتهم دواعى طبعهم أحياناً من العفو والمسامحة ما لا يفعله مع غيرهم »[(١)] .

إن العدل فى القول والفعل ومعالجة المشاكل بين الزوجين ، لو سلكنا فيه الطريق الشرعى الصحيح وابتعدنا فيه عن الهوى وحب الذات ، لما وقع الكثير فيما وقعوا فيه من كيل التهم وسوء الظن وتتبع العثرات ، والذى لا يستفيد منه إلا الشيطان وأولياؤه .

وكذلك مما يفرض العدل على الزوجة أن تبتعد عن النجوى مع أقاربها وأخواتها ضد زوجها ، فإن ذلك كله حرام ، ومن شأنه إثارة العداوة والبغضاء ، فتكون العاقبة فى النهاية سيئة .

وكذلك مما يفرض العدل على الزوجة أن تكون صادقة مع زوجها واضحة غير غامضة ، لا تقابله بابتسامة وهى تخفى له مكيدة ، أو تغمره بحنانها وهى تطعن فيه من ورائه ، وهذا الغموض وعدم الوضوح وسوء الظن بالزوج من الأمراض الخطيرة ، التى تؤدى إلى اذكاء العداوة والفرقة بين الزوجين ، وعدم

---

(١) مفتاح دار السعادة « ١٩٢/٢ » .

اطمئنان أحدهما إلى الآخر، فى الوقت الذى يفترض فيه أن تكون المسلمة دائماً صادقة ، وألا تكون من هواة سوء الظن .

● وخلاصة القول فى مفتاح العدل أنه تقوى الله عز وجل ، والخوف منه والتجافى عن دار الغرور ، حيث يقول تعالى : ﴿ **وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ (١) فالتقوى أيتها المرأة الصالحة ولا شىء غير التقوى .

---

(١) سورة المائدة الآية « ٨ » .

الموقف السادس
تطهير النفس من الحقد على الزوج أو كراهيته

إن الزوجة صاحبة القلب السليم تجاه زوجها - بصفة خاصة - تكون مطمئنة البال ، هادئة النفس ، تحب الخير له ولا تؤذيه أو تغتابه ، أو تفضحه بين الناس لأنه تزوج بأخرى . وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله أحد عشر مشهداً فيما يصيب المسلم من أذى الخلق وجنايتهم ، فمن هذه المشاهد « المشهد السادس : مشهد السلامة وبرد القلب .

وهذا مشهد شريف جداً لمن عرفه وذاق حلاوته ، وهو ألا يشغل قلبه وسره بما ناله من الأذى وطلب الوصول لدرك ثأره وشفاء نفسه ، بل يفرغ قلبه من ذلك ، ويرى أن سلامته وبرده وخلوه منه أنفع له ، وألذ وأطيب وأعون على مصالحه ، فإن القلب إذا اشتغل بشيء فاته ماهو أهم فيه ، وخير له منه فيكون بذلك مغبوناً ، والرشيد لا يرضى بذلك ، ويرى أنه من تصرفات السفيه .

فأين سلامة القلب من امتلائه بالغل والوساوس ؟ وإعمال الفكر في إدراك الانتقام » (١) .

إن المرأة الصالحة مهما أصابها من هم أو حزن إذا تزوج عليها زوجها ، لا يصل بها الحال إلى درجة الحقد عليه أو على ضرتها،وذلك لأن الحقد لا يجتمع مع الإيمان في القلب،وهو داء خطير لابد من تطهير النفس منه إذا أحست به المرأة ، وهو رذيلة بين رذيلتين ، لأنه ثمرة الغضب ، وهو يثمر الحسد ويؤدي إليه فاجتمع في الحقد أطراف الشر .

---

(١) مدارك السالكين ٢/ ٣٢٠ .

الحقد دائنٌ دفينٌ ليس يحمله ... إلا جهولٌ مليءُ النفس بالعلل
مالي وللحقد يشقيني وأحمله ... إني إذاً لغبيٌّ فاقدُ الحيل
سلامة الصدور أهنأ لي وأرحبُ لي ... ومركبُ المجد أحلى لي من الزلل
إن نمتُ نمتُ قرير العين ناعمُها ... وإن صحوتُ فوجه السعد يبّسمُ لي
وأمتطي لمراقي المجد مركبتي ... لاحقد يوهن مِنْ سعيي ومن عملي

فالشفاء من الحقد نعمة من الله سبحانه وتعالى ، وليس أهنأ للمرء ، ولا أطرد لهمومه ولا أقرَّ لعينه من أن يعيش سليم القلب ، بريئاً من وساوس الضغينة وثوران الأحقاد ، ومستريحاً من نزعات الحقد الأعمى ، فإن فساد القلب بالضغائن داءٌ عضال ، وما أسرع أن يتسرب الإيمان من القلب المغشوش كما يتسرب الماء من الإناء المثلوم .

هذا هو القلب السليم الذى ينفع صاحبه يوم القيامة،كما انتفع إبراهيم عليه السلام ﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ (١) .

وبصلاح هذا القلب يصلح سائر الجسد ، وهذا أمر يجب على المسلمة الانتباه إليه ، كما قال ﷺ : « **ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب** » (٢) .

هذا القلب المنيب الذى يورث صاحبه الجنان ، بل وتُدنى إليه ، كما قال تعالى : ﴿ **وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾** ﴾ (٣) .

وهاهم أصحاب النبى ﷺ ، لما علم الله ما فى قلوبهم من الخير ، أنزل

---

(١) الصافات الآية « ٨٤ » .
(٢) رواه البخارى « ٥٢ » ومسلم « ١٥٩٩ » .
(٣) سورة ق الآيات « ٣١ - ٣٥ » .

عليهم السكينة ، وأثابهم فتحاً قريباً ، ومغانم كثيرة يأخذونها ، قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا** ﴾ [(١)] .

ويكفى أن الحقد حرام ، لتطهر المسلمة نفسها منه وتتخلى عنه ، كما قال ﷺ : « **لا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا** » [(٢)] ، فدل ذلك على أنه لا يجوز للمسلمة أن تبغض زوجها أو ضربتها فكل ذلك حرام .

● **قال ابن رجب رحمه الله :**

وقوله ﷺ : « **ولا تباغضوا** » ، نهى المسلمين عن التباغض بينهم فى غير الله تعالى ، بل على أهواء النفس ، فإن المسلمين جعلهم الله أخوة ، والأخوة يتحابون بينهم ولا يتباغضون ، وقال النبى ﷺ : « **والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شىء إلا فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السلام بينكم** » [(٣)] .

وقد حرم الله على المؤمنين ما يوقع بينهم العداوة والبغضاء ، كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١)** ﴾ [(٤)] .

وامتنّ على عباده بالتأليف بين قلوبهم،كما قال تعالى: ﴿ **وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا** ﴾ [(٥)] .

● **وللحقد آثار يؤدى إليها ، كلها مهلكة والعياذ بالله :**

١ - تمنى زوال النعمة عمن تحقدين عليهم .

---

(١) سورة الفتح الآيات « ١٨ ، ١٩ » .
(٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) رواه مسلم .
(٤) سورة المائدة الآية « ٩١ » .
(٥) سورة آل عمران الآية « ١٠٣ » ، جامع العلوم والحكم «٢٤٥/٢» تحقيق طارق أحمد محمد .

٢ – التشمت بهم إذا أصابهم البلاء .

٣ – الهجر والمصارمة والخصومة .

٤ – الإعراض عمن تحقدين عليهم إستصغاراً لهم .

٥ – التكلم بالكذب والغيبة وإفشاء السر وهتك الستر فى حق من تحقدين عليهم .

٦ – الاستهزاء والسخرية منهم .

٧ – إيذاؤهم بكل أنواع الأذى .

٨ – عدم القيام بحقوقهم كمسلمين أو كمسلمات .

٩ – كتمان الحسنات ونشر السيئات فى حق من تحقدين عليهم .

ومن دعاء التابعين بإحسان لأخوانهم : « **ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا** » ، فهذا يعنى أن الغل والحقد والضغينة ، يجب ألا يكون لهم مكان فى قلب المسلمة ، فما بالنا لو كان ذلك الغل والحقد أو الضغينة على الزوج أو على ضرتها ، التى هى فى حقيقة الأمر أختها فى الله .

فالأصل إذن فى المسلمة أن تكون سليمة الصدر لكل الناس وأعظمهم الزوج ، وكذلك لأخواتها المسلمات ومن بينهن ضرتها .

روى ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو قال : قيل لرسول الله ﷺ : « **أى الناس أفضل قال : كل مخموم** [١] **القلب صدوق اللسان** ، قالوا : صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب ؟ قال : **هو التقى النقى لا إثم فيه ولا بغى ولا غلّ ولا حسد** » [٢] .

وفى ترجمة أبى دجانه الأنصارى لما دُخل عليه وهو مريض ، وكان وجهه

(١) هو من يزيل كل ما علق فى قلبه من سوء تجاه المسلمين أولاً بأول .
(٢) حديث صحيح .

يتهلل ، فقيل ما لوجهك يتهلل ؟ فقال : ما من عمل شيء أوثق عندى من اثنتين : كنت لا أتكلم فيما لا يعنينى ، والأخرى فكان قلبى للمسلمين سليماً .

فيا أيتها المرأة الصالحة بدلاً من أن تحقدى على زوجك أو على ضرتك ، وجهّى هذه الطاقة نحو الكفار والفساق والمشركين الذين يحاربون دينك ، ويعذبون المسلمين فى أنحاء كثيرة من العالم .

ولعلك تسألين فى النهاية : كيف أتخلص من هذا الحقد إن وجد ؟ .

أولاً : تعظيم حرمة المسلم وصيانة عرضه :

وهذا ينشأ من تعظيم المسلمة لما عظّمه الشرع ، فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « **كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه** »(١) .

ونظر عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يوماً إلى الكعبة ، فقال : « ما أعظمك وأعظم حرمتك ، والمؤمن أعظم حرمة منك » .

وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده** » ، فإذا علمت المسلمة ذلك وفقهته جيداً ، خافت أن تقع فى عرض أحد من المسلمين أو المسلمات .

ثانياً : الدعاء لك ولغيرك :

فتبتهلين دائماً بالدعاء والتضرع لله عز وجل بقولك : « **ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا** » ، « **واسلل سخيمة صدرى** » كما جاء فى الحديث (٢) .

فتهتمين بالدعاء لله عز وجل ، أن يشرح صدرك ويُسَلّمه من الضغائن

---

(١) رواه مسلم وأحمد والبيهقى وغيرهم .
(٢) رواه مسلم وغيره .

والأحقاد لكل المسلمين بصفة عامة، ولزوجك وضرتك بصفة خاصة .

وكذلك تبتهلين بالدعاء لله عز وجل أن يوفق دائماً بينك وبين زوجك ، وأن تتمنى الخير لضرتك مع زوجك ، لا كمن تظل تدعو وترجو أن يطلق زوجها ضرتها .

ثالثاً : التوكل على الله حق توكله :

فنحن لا نعرف أين يكون الخير ولا أين يكمن الشر ؟.

قال تعالى : ﴿ **وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾ (٢) .

فمن تمام التوكل على الله عز وجل تخليص النفس من الحقد على الآخرين ، فلعل المكروه الذى نراه مكروهاً يكون خيراً لنا فى معاشنا ومعادنا ، ولعل المحبوب الذى نراه محبوباً يكون شراً لنا فى معاشنا ومعادنا ، لا سيما وأن الله تعالى وحده هو الذى يعلم ما ينفعنا وما يضرنا ، ونحن لا نعلم شيئاً أبداً .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله :

« فأحكم الحاكمين ، وأرحم الراحمين ، وأعلم العالمين ، الذى هو أرحم بعباده منه بأنفسهم ، ومن آبائهم وأمهاتهم ، إذا أنزل بهم ما يكرهون كان خيراً لهم من ألا ينزله بهم ، نظراً منه لهم ، وإحساناً إليهم ، ولطفاً بهم ، ولو مُكنوا من الاختيار لأنفسهم ، لعجزوا عن القيام بمصالحهم علماً وإرادة وعملاً ، ولكن سبحانه تولى تدبير أمورهم بموجب علمه وحكمته ورحمته —

---

(١) سورة البقرة الآية « ٢١٦ » .
(٢) سورة النساء الآية « ١٩ » .

أحبوا أم كرهوا – فعرف ذلك الموقنون بأسمائه وصفاته ، فلم يتهموه فى شيء من أحكامه ، وخفى ذلك على الجهال به وبأسمائه وصفاته ، فنازعوه تدبيره ، وقدحوا فى حكمته ، ولم ينقادوا لحكمه ، وعارضوا حكمته بعقولهم الفاسدة ، وآرائهم الباطلة وسياستهم الجائرة ! فلا لربهم عرفوا ولا لمصالحهم حصّلوا » (١) .

رابعاً : تذكر نعم الله علينا دائماً وشكره عليها :

فالمسلمة مهما كانت فى ضيق ، فإن نعم الله عليها كثيرة ، فلتنظر إليها ولتحمد الله عليها ، فقد لا يكون الله عز وجل قد منّ بها على غيرها ، ولذلك وجب الشكر عليها ، ومن ثمّ النظر إلى ما عند الله من النعم بغير حسد أو تمنٍ لزوالها ، إيماناً منّا بأنه سبحانه هو الذى يقسم الأرزاق كيف يشاء على من يشاء ، فهو المانع والمعطى ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطى لما منع .

خامساً : ذكر المآل يوم القيامة :

فلتتذكر المسلمة قول الله تعالى : ﴿ **وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ** (٤٧) ﴾ (٢) ، ولتعلم أن من صفات أهل الجنة المتقين خلو قلوبهم من الغلّ والحقد ، ومن صفات أهل النار فساد قلوبهم بما يعتريها من أمراض الغل والحقد وغيرهما .

سادساً : الإكثار من فعل الطاعات :

فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والصدقة تطهر النفس وتزكيها ، والذكر يطرد الشيطان ويرضى الرحمن ، إلى غير ذلك من الطاعات التى هى فى حقيقة الأمر تقرب إلى الله عز وجل .

---

(١) الفوائد ص « ٩٣ » .
(٢) سورة الحجر الآية « ٤٧ » .

سابعاً : الابتعاد عن أصحاب القلوب السوداء :

تلك الرفقة التى تعين على معصية الله تعالى .

تلك الرفقة التى تحاول إذكاء نار الفتنة بين الناس .

تلك الرفقة التى تزيدك حقداً إلى حقدك .

تلك الرفقة التى لا تهدأ إلا بمعرفة كل ما لا يعنيها .

تلك الرفقة التى لا تنتصر لله تعالى ، وإنما تنتصر لغير الحق .

تلك الرفقة التى لا تعرف معنىً لقوله ﷺ : « **من ذبَّ عن عرض أخيه بالغيبة ، كان حقاً على الله أن يعتقه من النار** » [1] .

---

(١) رواه أحمد وصححه الألبانى « صحيح الجامع رقم ٦٢٤٠ » .

الموقف السابع
لا تحـــــزن

وعندمـا أقـول لا تحـزن ، أعنى بذلك : الحـزن المذمـوم الذى ينتج عنه مخالفات شرعية ، إما فى الاعتقاد ، أو فى السلوك . فأما فى الاعتقاد : مثل أن تقول مثلاً : لو أنى فعلت كذا كان كذا ، أو لماذا قدّر الله علىّ ذلك ؟ .

وأما فى السلوك : مثل إساءتها معاملة زوجها والحديث عنه بسوء ، وهتك أسراره وإساءة الظن به .

إن المرأة الصالحة لا شك – كامرأة – لاتريد لنفسها ضرة ، وذلك فى غالب أحوال النساء ، لكن إن حدث فالأصل ألا تكون حزينة ومهمومة ، وتبدأ تزهد فى دنياها ، لأن الحياة لم يصبح لها طعمٌ بعـد ، وكأن العالم قد انتهى ، وهذا كلام من لا تعرف عن الله حكمته .

والمرأة الصالحة لا تحزن للأسباب الآتية :

١ – لقوله تعالى : ﴿ **وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ (١) .

قـال الحسن فى معنى الآية : « لا تكرهوا الملمات الواقعة ، فلرب أمر تكرهه فيه نجاتك ، ولرب أمر تحبه فيه عطبك ، وأنشد أبو سعيد الضرير :

رُبَّ أمـر تتقيـه ... جـرّ أمـراً ترتضيـه

خفِى المحبوب منـه ... وبـدا المكروه فيـه

٢ – لقوله تعالى : ﴿ **قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ** ﴾ (٢) .

---

(١) سورة البقرة الآية « ٢١٦ » .
(٢) سورة الأنعام الآية « ١٢ » .

أى كتب على نفسه الرحمة فى كل شىء ، فى تشريعاته وأحكامه وأقداره ، فإذا ما اطمأنت المسلمة إلى هذه الرحمة امتلأ قلبها بالثبات والصبر ، والطمأنينة والرحمة لأنها تعلم يقيناً أنها فى كنف ودود رحيم لا يظلم أحداً أبداً .

٣ - لقوله تعالى :﴿ **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ** ﴾ (١) .

فحادثة الإفك بكل ما فيها من أقدار على السيدة عائشة رضى الله عنها ، وما حدث لرسول الله ﷺ الذى ظل وقتاً ينتظر الوحى فى ذلك ، وما حدث للمجتمع المسلم ممن خاضوا وممن أمسكوا ومع ذلك كله ﴿ **لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ** ﴾ فمن باب أولى كل ما هو دون ذلك .

٤ - لقوله ﷺ :« **عجبت للمؤمن إن الله لم يقضى قضاءً إلا كان خيراً له** » (٢) .

يقول ابن تيمية رحمه الله : « **وما يصيب الإنسان إن كان يسره فهو نعمه بينة ، وإ كان يسوءه فهو نعمة من جهة أنه يكفر خطاياه ، ويثاب بالصبر عليه ، ومن جهة أن فيه حكمة ورحمة لا يعلمها** » (٣) .

٥ - لقوله ﷺ:« **لما قضى الله الخلق كتب فى كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتى غلبت غضبى** » (٤) .

« الله أكبر ، ما أعظم رحمة الله ، وما أوسع مغفرته ، وكم يزرع هذا الحديث وأمثاله فى القلب من الأنس والطمأنينة والسكينة ، ولو كان صاحب

---

(١) سورة النور الآية « ١١ » .
(٢) رواه أحمد ، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة رقم « ١٤٨ » .
(٣) مجموع الفتاوى « ١٤ / ٣٠٥ » .
(٤) متفق عليه .

هذا القلب فى أتون الشدائد والمصائب والمحن ، فما دام أن رحمة الله سبقت غضبه فلا خوف ولا قلق ، لأن رحمة الله عز وجل تحول النقمة والمحنة إلى منحة ونعمة » [١] .

٦ – لأن الحزن تكدير للحياة ، وتنغيص للعيش ، وشرٌ كله إذا ركنت إليه النفس ، فالحزن يُزعجك من الماضى ، ويخوّفك المستقبل ، ويُذهب عليك يومك .

● والحزن ينقبض له القلب ، ويعبس له الوجه ، وتنطفئ منه الروح ، ويتلاشى معه الأمل .

● والحزن يسرُّ العدو ، ويغيظ الصديق ، ويُشْمت بك الحاسد ، ويغيِّر عليك الحقائق .

● والحزن مخاصمة للقضاء ، وتبرُّم بالمحتوم ، وخروج على الأُنس ونقمة على النعمة .

● الحزن لا يرد مفقوداً وذاهباً ،ولا يبعث ميتاً ، ولا يردّ قدراً ،ولا يجلب نفعاً .

● والحزن من الشيطان ، والحزن يأس جاثم ، وفقر حاضر، وقنوط دائم ، وإحباط محقق ، وفشل ذريع [٢] .

إذن فكيف تحزن المرأة الصالحة بعد ذلك ؟!!! .

٧ – لا تحزن لأنها تملك الدعاء وتجيد الانطراح على عتبات الربوبية ، وتحسن المسكنة على أبواب ملك الملوك ، ومعها الثلث الأخير من الليل ، ولديها ساعة تمريغ الجبين فى السجود .

٨ – لا تحزن ، لأن الاستسلام للهموم والأحزان هزيمة وضعف إيمان ، يحملانها على ضعف العبادة والابتعاد عن طريق الهدى .

---

(١) لا تحسبوه شراً لكم ، عبد العزيز بن ناصر الجليل « ٤١ » .
(٢) لا تحزن ، عائض القرنى ص « ١٤ » .

الموقف الثامن
تعظيم حق الزوج وطلب مرضاته

إن من الأخطاء الفادحة التى تقع فيها كثير من النساء بعد التعدد ، التغير الملموس فى معاملة الزوج ، وكأنه شىء من العقاب على ما اقترفت يداه !!! .

إن الواجب على المرأة المسلمة الحرص على طلب مرضاة زوجها وطاعته فى غير معصية ، انطلاقاً من عظم حقه الذى رفع الإسلام من شأنه .

فعن حُصين بن محصن قال : حدثتنى عمتى قالت : أتيت رسول الله ﷺ فقال : « **أى هذه ، أذات بعل؟** قلت : نعم ، **قال** : **كيف أنت منه ؟** قالت : ما آلوه [(١)] إلا ما عجزت عنه ، **قال** : **فانظرى أين أنت منه ، فإنما هو جنتك ونارك** » [(٢)] .

وعن النسائى أن رسول الله ﷺ قال : « **ونساؤكم من أهل الجنة الودود الولود العئود على زوجها التى إذا غضب جاءت حتى تضع يدها فى يد زوجها وتقول : « لا أذوق غمضاً حتى ترضى »** [(٣)] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **ما ينبغى لأحد أن يسجد لأحد ، ولو كان أحدٌ ينبغى له أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لما عظَّم الله من حقه** » [(٤)] .

وفى رواية : « **والذى نفس محمد بيده لا تؤدى المرأة حق ربها حتى**

---

(١) أى لا أقصر فى خدمته وطاعته .
(٢) رواه أحمد والنسائى ، قال الألبانى : إسناده صحيح . « آداب الزفاف « ص ٥ » .
(٣) قال الألبانى : الحديث شواهد يتقوى بها « السلسلة الصحيحة برقم « ٢٨٧ » .
(٤) رواه ابن حبان وحسنه الألبانى فى إرواء الغليل برقم « ١٩٩٨ » .

تؤدى حق زوجها كله حتى لو سألها نفسها وهى على قتب لم تمنعه » [(١)] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: « **لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ، والذى نفسى بيده لو كان من مقدمه إلى مَفْرق رأسه قرحة تنبجس بالقيح والصديد ثم استقبلته تلحسه ما أدت حقه »** [(٢)] .

وعن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا ، إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله ، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا »** [(٣)] .

هاهى سفينة الزواج تمخر بحر الحياة وتبحر باقتدار وهدوء إلى غاياتها السامية ومقاصدها النبيلة ، عندما تعرف المرأة الصالحة لزوجها قدره ومكانته .

وها هو الربان التقى المؤمن ، الذى يعرف ماله وما عليه من حقوق وواجبات ، تقف بجانبه رفيقة حياته فى رحلة الحياة ، وهى الزوجة الصالحة الفطنة التى تتخذ كل وسيلة حكيمة توصلها مع شريك حياتها دائماً إلى بر الأمان .

ولعل من أعظم هذه الوسائل إنزال الزوج منزلته التى رفعها الإسلام وعظّمها ، فكل امرأة تعرف ذلك لزوجها فتحترمه وتقدره ، تجعله حتماً يعاملها بالمثل وأحسن .

وإن من أشد ما يسىء إلى الزوج ، عدم احترامه أو تسفيه رأيه ، أو نقد تصرفاته ، وكشف عيوبه ، وكذلك مناقشته بصوت مرتفع مما يجرح كرامته ويحط من رجولته ويشوّه صورة زوجته الحبيبة إلى قلبه ، إلى غير ذلك من

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه وحسنه الألبانى « صحيح الجامع -٦٩١٥ » .
(٢) رواه أحمد وقال المنذرى: رواه أحمد بإسناد جيد « إرواء الغليل ٥٥/٧ » .
(٣) رواه الترمذى وابن ماجه والإمام أحمد وصححه الألبانى « الصحيحة برقم ١٧٣ » .

السلوكيات التى تنافى تماماً مكانة الزوج الرفيعة .

لذا فإنه من الواجب على الزوجة أن توطدّ نفسها وتكيفها على أن يكون هواها تبعاً لهواه ، فتحب ما يحب وتكره ما يكره من أهل وأصحاب وغير ذلك فى غير معصية الله عز وجل .

وهذا الواجب على المرأة من تعظيم حق الزوج ، وطلب مرضاته ، وطاعته فى غير معصية ، لا يتغير أبداً بأى حال من الأحوال ، بمجرد زواجه بأخرى ، فكثير من النساء يضللن الطريق القويم ، وتتغير صورتهن الطيبة إلى صورة قبيحة منفرة بسبب التعدد ، وهذا طريق الشيطان ولا شك .

إن الزوج مادام عادلاً العدل الواجب مع زوجتيه – وهو العدل فى المبيت والنفقة فقط – فلتتق الله تعالى كل زوجة ترجوا الله والدار الآخرة ، وتقدم ما عند الله تعالى على ما عند المخلوق والدنيا ، ولتعظم دين الله تعالى ، فإن ذلك من تقوى القلوب .

إن أصالة الزوجة المسلمة ، تظهر بجلاء فى أوقات المحن والشدائد ، فتقف بجانب زوجها بروحها قبل ما تملك ، وبوفائها له قبل انتصارها لنفسها ، فتكون بذلك الزوجة التى تعرف قدر الزوج ومكانته .





الموقف التاسع
معاونته على طاعة الله تعالى والدعاء له

فالتعدد طاعة لله تعالى ، إن استحضرت له نية خالصة يُبتغى بها وجه الله تعالى ، فأعينيه على هذه الطاعة – حتى وإن كنت لا تتمنين ذلك له – فإذا رأيت منه هماً أو غماً بسبب هجوم الناس عليه ، فقفى بجانبه موقف المعتزة بدينها الراسخ إيمانها ، المستعلية عن نظرات الجاهلية وأفكار الناس العفنة المخالفة لشريعة الرحمن .

قفى معه موقف خديجة رضى الله عنها ، وأعلنيها بأعلى صوتك: « كلا والله ما يخزيك الله أبداً » .

روى البخارى عن أنس رضي الله عنه قال : « **أولم رسول الله ﷺ حين بنى بزينب بنت جحش فأشبع الناس خبزاً ثم خرج إلى حُجر أمهات المؤنين كما كان يصنع صبيحة بنائه ، فيسلم عليهن ويدعو لهن ويسلمن عليه ويدعون له ...** » [(١)] .

وفى رواية أخرى للبخارى : « **فخرج النبى ﷺ فانطلق إلى حجرة عائشة فقال : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله ، فقالت : وعليك السلام ورحمة الله . كيف وجدت أهلك ، بارك الله لك فتقرىً حجر نسائه كلهن ، يقول لهن كما يقول لعائشة ، ويقلن له كما قالت عائشة** » [(٢)] .

هاتان الروايتان تعطيان درساً إيمانياً من واقع ملموس داخل بيت البنوة لنساء المسلمين ، كى يتعلمن منه الأدب مع الزوج ، وكيفية استقبال أمر

(١) صحيح الإمام البخارى برقم « ٤٧٩٤ » .
(٢) صحيح الإمام البخارى برقم « ٤٧٩٣ » .

لتعدد عند المرأة ، فقد كان النبى ﷺ صبيحة بنائه يذهب إلى بقية نسائه ، فيسلم عليهن ويدعو لهن ، فهن نعم الزوجات لخير زوج على الأرض ﷺ فقد كان من كمال إيمانهن وثباتهن واعتزازهن بدينهن ومعرفة لحق زوجهن عليهن ، إذا سلم عليهن ودعا لهن سلّموا عليه ودعون له ، ويظهر ذلك جلياً فى الرواية الثانية ، حيث يسلم النبى ﷺ على كل زوجة من زوجاته ، فتسلم عليه هى الأخرى وتسأله عن أهله - أى عن زوجته الجديدة - وتدعو له ﷺ بالبركة .

إن هذا الموقف منهن رضى الله عنهن يستوجب الوقوف أمامه بكل احترام وتقدير ، كى تتعلم منه نساء المسلمين الموقف الإيمانى الصحيح تجاه قضية التعدد .

إن قول أنس رضي الله عنه فى الحديث : « **ويسلمن عليه ويدعون له** » .

وفى الرواية الأخرى : « **والسؤال عن الأهل والدعاء للزوج بالبركة** » :

يفضح مواقف كثير من النساء - حتى للأسف من الملتزمات - ويهتك ستر ادعائهن الاستقامة الجادة على دين الله تعالى !!! .

فأين هى المرأة الصالحة التى تدعو لزوجها وتسأله عن الزوجة الجديدة ؟!! .

إن دعاء الزوجة الصالحة لزوجها بعدما تزوج بأخرى يفضح أولئك النسوة اللائى يعتبرن التعدد مصيبة المصائب ، لدرجة أن منهن يذكرن دعاء المصيبة ، وكأنهن ملتزمات بذكر الله تعالى حتى فى المصائب !!! .

تقول الواحدة منهن : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيراً منها !!! .

هل هذا الدعاء يقال فى هذا الموقف ... سبحان الله ! لمَ لمْ تقله ولو واحدة من زوجات النبى ﷺ !!! أم أنّ نساء اليوم - الصالحات بزعمهن - أتقى لله تعالى منهن !!! .

إن موقف أمهات المؤمنين هذا ، يفضح موقف كل من تدعى أنها ستبقى بقية عمرها محطمة ومتعبة نفسياً ، كى تتوب إلى الله تعالى ، وتثوب إلى رشدها وإيمانها .

إن موقف أمهات المؤمنين هذا ، يفضح كل من تدعى الزهد بعد زواج زوجها عليها ، لأن الدنيا لم يصبح فيها ما يستحق أن تبكى عليه أو تعيش له ،كما تقول بعض النساء، كى تهتدى إلى طريق الزهد الصحيح ، وإلا فلماذا لم يفكر أصحاب هذا القول فى الزهد من قبل ؟!! .

إن موقف أمهات المؤمنين هنا ، يفضح موقف كل من تنكد على زوجها بسبب التعدد ، إمّا بالهمّ طوال اليوم ، أو بترك البيت لغير سبب شرعى ، أو بطلب الطلاق من أول وهله ؟ كى تتقى الله تعالى فى زوجها ، وتعاشره بالمعروف كما يعاشرها بالمعروف ؟ فأين أنت منه ، فإنما هو جنتك ونارك ، أم تُراك قد نسيتى ذلك ؟!! .

إن موقف أمهات المؤمنين هذا ، يفضح موقف كل من تعتد بالعرف ، وتعمل ألف حساب لكلام الناس والجيران والأقارب ، أن تستغفر ربها وتعتز بدينها وتستعصم به ، وتستعلى به على أفكار الجاهلية والجاهلين .

فهاهن أمهات المؤمنين يا نساء المسلمين ، القدوة والمثل ، وليس الخيال أو المستحيل ، منهن اتخذن القدوة الحسنة ، واتقين الله تعالى ، واسلكن مسلكهن ، واقتدين أثرهن يهدكن الله تعالى طريق الثبات والهداية .



الموقف العاشر
سؤال الله تعالى الثبات والهداية

لو لم تسأل المرأة ربها الثبات والهداية ، فلن تستطيع أن تقف بمفردها أمام رياح المجتمع المخالفة للشرع ، والتى تؤثر فى كيانها ولا شك ، لذا كان لزاماً على المـرأة الصالحة أن تسأل ربها ذلك لتزكو نفسها ، ويصلح قلبها .

قال الله تعالى : ﴿ **وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (٧) رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٨)** ﴾ [١] .

فإذا كان أهل الإيمان والراسخون فى العلم يتضرعون لله عز وجل بالدعاء بقولهم : ﴿ **رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا** ﴾ فمن باب أولى من دونهم .

بل إن النبى ﷺ كان يقول فى دعائه : « **اللهم يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك** » [٢] ، فالقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيف يشاء ، فإن لم نسأل الله تعالى التثبيت ، زاغت هذه القلوب ، وانقلب حالنا ، والواقع يشهد على ذلك بنماذج رأيناها وأخرى سمعنا عنها ، كانت قوية الإيمان راسخة فى العلم هادئة مطمئنة ، ثم انقلب حالهم إلى مالا يحمد عقباه . وإذا كان النبى ﷺ يسأل ربه أن يثبت قلبه على دينه ، فأين نحن من ذلك ؟!! .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « **إن قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب**

---

(١) سورة آل عمران الآيات « ٧ ، ٨ » .
(٢) رواه الترمذى وحسنه .

واحد يصرفه حيث يشاء » ، ثم قال رسول الله ﷺ : « **اللهم مصرف القلوب صرّف قلوبنا على طاعتك »** (١) .

فأمر القلوب وسلامتها إذن موكل إلى الله سبحانه وتعالى ، وهو سبحانه يثبت من يشاء ويهدى من يشاء ويضل من يشاء سبحانه ، له الأمر من قبل ومن بعد .

إن التوجه إلى الله تعالى وحده بالدعاء عبادة وقربة أمرهم الله عز وجل بها لينالوا عنده منزلة رفيعة وزلفى ، ولا يخفى على أحد أن الدعاء يظهر مدى افتقار العبد إلى الله عز وجل وحاجته إليه ، كما قال الخطابي رحمه الله : « وحقيقته إظهار الافتقار إليه ، والتبرؤ من الحول والقوة وهو سمة العبودية ، واستشعار الذلّة البشرية ، وفيه معنى الثناء على الله ، وإضافة الجود والكرم إليه » (٢) .

والله عز وجل يدعونا إلى دعائه فيقول : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي** ﴾ (٣) .

وقال ﷺ : « **أفضل العبادة الدعاء** » (٤) .

وقال أيضاً : « **إن أبخل الناس من بخل بالسلام ، وأعجز الناس من عجز عن الدعاء** » (٥) .

وقال أيضاً : « **ليس شيء أكرم على الله من الدعاء** » (٦) .

---

(١) رواه مسلم « ٢٦٥٤ » .
(٢) شأن الدعاء للخطابي .
(٣) سورة البقرة الآية « ١٨٦ » .
(٤) حديث صحيح رواه الحاكم فى المستدرك عن ابن عباس ، « صحيح الجامع برقم ١١٢٢ » .
(٥) حديث صحيح رواه أبو يعلى فى مسنده عن أبى هريرة ، ورواه ابن حبان « صحيح الجامع برقم ١٢١٩ » .
(٦) حديث حسن ، رواه أحمد وغيره « صحيح الجامع برقم ٥٣٠٢ » .

وقال أيضاً : « **من سرّه أن يستجيب الله له عند الشدائد والكُرَب ، فليكثر الدعاء فى الرخاء** » [١] .

● **ولتعلم المرأة الصالحة أن من أقوى أسباب استجابة الدعاء ، المحافظة على آدابه وهى :**

١ – ترصد الأوقات الشريفة ، كيوم عرفة وشهر رمضان ، ويوم الجمعة ووقت السحر آخر الليل .

٢ – استقبال القبلة ورفع اليدين بالدعاء .

٣ – التضرع والخشوع عند الدعاء واستحضار القلب مع اللسان .

٤ – افتتاح الدعاء بذكر الله والثناء عليه ، وختمه بالصلاة على رسول الله ﷺ .

٥ – الجزم بالدعاء والتيقن بالإجابة .

٦ – الإلحاح فى الدعاء وتكريره ثلاثاً .

٧ – تعظيم المسألة .

٨ – الدعاء باسم الله الأعظم : « اللهم إنى أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد» .

٩ – الحرص على الأدعية الواردة بالكتاب والسُّنة ، قال تعالى : ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ** ﴾ [٢] ، فهيّا نهتف جميعاً بهذه الأدعية النبوية الطاردة للحزن والهم :

● لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا أنت رب العرش العظيم ، لا إله إلا ربُ السموات وربُ الأرض وربُ العرش الكريم ، ياحى ياقيوم لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث .

---

(١) حديث حسن ، رواه الترمذى والحاكم « صحيح الجامع برقم ٦٢٩٠» .
(٢) سورة النمل الآية « ٦٢ » .

- اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين ، وأصلح لى شأنى كله ، لا إله إلا أنت .
- أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه .
- لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين .
- الله الله ربى لا أُشرك به شيئاً .
- حسبنا الله ونِعم الوكيل .
- ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .



الموقف الحادى عشر
الإقبال على الله تعالى

يقول الجيلانى رحمه الله :

« لا يكن همّك همّ النفس والطبع، أين همُّ القلب، هَمُّك مـا أهمك ،فليكن همّك ربّك عز وجل وما عنده » .

وقال المناوى رحمه الله :

« هناك أمور مظلمة تورد على القلب سحائب متراكمات مظلمة ، فإذا فرّ إلى ربه وسلّم أمره إليه ، وألقى نفسه بين يديه من غير شركة أحدٍ من الخلق ، كشف عنه ذلك ، فأما من قال ذلك بقلب غافل لاه فهيهات » .

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله :

« محبة الله ، ومعرفته ، ودوام ذكره ، والسكون إليه ، والطمأنينة إليه ، وإفراده بالحب والخوف ، والرجاء والتوكل والمعاملة ، بحيث يكون هو وحده المستولى على هموم العبد وعزماته وإرادته ، وهو جنة الدنيا ؟ والنعيم الذى لا يشبهه نعيم وهو قرة عين المحبين وحياة العارفين » .

قال عبد الرحمن بن ناصر السعدى رحمه الله :

« تعلق القلب بالله وحده واللهج بذكره والقناعة ، أسباب لزوال الهموم والغموم ، وانشراح الصدر ، والحياة الطيبة ، والضدُّ بالضدّ ، فلا أضيق صدراً وأكثر همـاً بمن تعلق بغير الله ، ونسى ذكر الله ، ولم يقنع بما آتاه الله ، والتجربة أكبر شاهد » .

ويقول الإمام المناوى رحمه الله :

« ينبغى أن يكون بين العبد وبين ربه معرفة خاصة بقلبه ، بحيث يجده قريباً للاستغناء له منه ، فيأنس به فى خلوته ، ويجد حلاوة ذكره ، ودعائه ومناجاته وطاعته ، ولا يزال العبد يقع فى شدائد وكرب فى الدنيا والبرزخ

والموقف ، فإذا كان بينه وبين ربه معرفة خاصة كفاه ذلك كله » .

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله :

« الإقبال على الله تعالى ، والإنابة إليه والرضا به ومنه ، وامتلاء القلب من محبته واللهج بذكره ، والفرح والسرور بمعرفته ، ثواب عاجل ، وجنة ، وعيش ، لا نسبة لعيش الملوك إليه البتّة .

والإقبال على الله عز وجل له مظاهر أهمها :

١ - العلم الشرعى :

الذى به تتعرف المسلمة على ربها ، كيف تعبده ، وكيف تخشاه ، وكيف تعيش لدينها ... « والعلم يورث صاحبه الفقه بمراتب الأعمال ، فيتقى فضول المباحات التى تشغله عن التعبد ، كفضول الأكل والنوم والكلام ، ويراعى التوازن والوسطية بين الحقوق والواجبات، إمتثالاً لقوله ﷺ: « **أعط كل ذى حق حقه** » ، ويبصره بحيل إبليس وتلبيسه عليه ، كى يحول بينه وبين ماهو أعظم ثواباً » (١) .

روى البخارى ومسلم عن معاوية رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **من يرد الله به خيراً يفقه فى الدين** » ولابد أن تعلم المسلمة أن العلم النافع هو الذى يتبعه العمل الصالح ، ويلزم صاحبته الخلق الفاضل ،والأدب الكامل والاعتصام بالكتاب والسُّنة ، وإخلاص القصد لله سبحانه .

٢ - الحرص على الوقت :

لأن الاستفادة بالوقت فى تعلم العلم الشرعى ، وذكر الله تعالى ، وتلاوة القرآن ، وغير ذلك من الطاعات ، يلين القلب ويجعله منبسطاً منشرحاً سليماً ، يهفو إلى مرضاة الله تعالى ويعرض عن المخلوقين .

روى الحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لرجل

---

(١) علو الهمة للشيخ محمد إسماعيل ، ص « ٣٤٤ » .

وهو يعظه : « **اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك** » (١) .

وصدق الشاعر حين قال :

إذا مر بى يوم ولم أقتبس هدى
ولم أستفد علماً فما ذاك من عمرى

٣ - الإكثار من نوافل الطاعات :

إن النوافل باب عظيم من أبواب الخير ، وميدان كبير للمسابقة فى الطاعات ، ونعمة عظمى أكرم الله بها عباده ليزدادوا منه تقرباً ، ويحظوا بالرحمة والرضوان ، ويزكوا بها أنفسهم ، ويحيوا قلوبهم .

روى البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله عز وجل قال : من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرّب إلىَّ عبدى بشىء أحبّ إلى مما افترضته عليه ، وما زال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببتُه كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ،وإن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه** » .

فهيَّا أيتها المرأة الصالحة إلى مزيد من نوافل الطاعات ، من تلاوة لكتاب الله تعالى ، وذكر له سبحانه وتعالى وتضرع ودعاء ، وقيام ليل ، وصيام وصدقه ، إلى غير ذلك من النوافل ، يشغلك ذلك إن شاء الله عن وساوس شياطين الإنس والجن لك .

٤ - قصر الأمل وكثرة ذكر الموت :

قصر الأمل يدفع إلى علوِّ الهمة وحُسن العمل .

فهذه معاذة العدوية زوجة صلة بن أشيم : كانت إذا جاء النهار قالت :

---

(١) رواه الحاكم والبيهقى وصححه الألبانى «صحيح الجامع برقم ١٠٧٧» .

هذا يومى الذى أموت فيه ، فما تنام حتى تمسى ، وإذا جاء الليل قالت : هذه ليلتى التى أموت فيها ، فلا تنام حتى تصبح .

وكانتِ ماجدة القرشية تقول : طوى أملى طلوعُ الشمس وغروبها ، فما من حركة تُسمع ولا من قدم تُوضع ، إلا ظننت أن الموت فى أثرها .

وعن ابن عمر قال : أخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدى فقال : « **كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، وعُدَّ نفسك من أهل القبور** » [١] .



(١) رواه البخارى .

الموقف الثاني عشر
الصبر

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « وجدنا خير عيشنا بالصبر » وقال أيضاً : « أفضل عيش أدركناه بالصبر ، ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريماً » .

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : « ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا قطع الرأس بار الجسم ، ثم رفع صوته فقال : إنه لا إيمان لمن لا صبر له» ، وقال : « الصبر مطيّة لا تكبو » .

وقال الحسن : « الصبر كنز من كنوز الخير ، لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده » .

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : « ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضه مكانها الصبر ، إلا كان ما عوّض خيراً مما انتزعه » .

هكذا كان ينظر سلف هذه الأمة إلى الصبر ، لذا نالوا الدرجات العلى فى الدنيا ، والمكارم العظمى إن شاء الله فى الآخرة .

لذا فإنه يجب على المرأة الصالحة أن تصبر إذا تزوج عليها زوجها ؛ وذلك لأن أمر التعدد جاء على خلاف ما تهوى ، وما تحب لنفسها ولزوجها ، ولكن بم تنال الجنة ؟!!، بالصبر على طاعة الله عز وجل ، وبالصبر على نصرة شريعته ، وبالصبر على كبح جماع الهوى والغضب .

ومن مظاهر صبر المرأة الصالحة :

١ – حسن خلقها مع زوجها ، وحسن الظن به .
٢ – لا تغتابه أو تنال منه ، ولاتدع الفرصة لقريب أو بعيد أن يغتابه أو ينال منه .
٣ – القيام بحقوق الزوجية خير قيام .
٤ – الإهتمام بتربية أولادها التربية الإسلامية الصحيحة .

٥ – الإقبال على كتاب الله عز وجل ، وذكره سبحانه وتعالى ، والالتزام بالرفقة الصالحة حتى لا يكون للهمّ والغمّ عليها سبيلاً .

٦ – ألا تطالبه بما فوق طاقته من النفقة ونحوها ، ظناً منها أنها أولى بكل شيء من الزوجة الجديدة .

٧ – الحرص على طلب مرضاة الزوج كما حثها على ذلك الشرع ، ولا تكسل عن ذلك بدعوى زواجه بأخرى .

إن المرأة الصالحة إذا ما أخذت بالأسباب المعينة لها على الصبر ، أعانها الله عز وجل .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **من تصبر يُصبره الله ، ولم يُعطوا عطاءً خيراً أوسع من الصبر** » [١] .

وكذلك إذا ما استحضرت فضل الصبر ومكانته لاسيما في أوقات الغربة التي نعيشها ، أعانها الله عز وجل ، ورضيٌ نفسها وقلبها ، وذلك لقوله ﷺ : « **إن من ورائكم أيام الصبر ، للمتمسك فيهن يومئذ بما أنتم عليه أجر خمسين منكم** » [٢] .

وكذلك فإن المرأة الصالحة إذا ابتهلت إلى الله عز وجل متضرعة له جل وعلا أن يرزقها الصبر ، أعانها على ذلك إن شاء الله . وكان صالح المزني يدعو : « اللهم ارزقنا صبراً على طاعتك ، وارزقنا صبراً على معصيتك ، وارزقنا صبراً على ما تحب ، وارزقنا صبراً على ماتكره ، وارزقنا صبراً على عزائم الأمور » .

وقال الحواريون لعيسى عليه السلام : ياروح الله ، كيف لنا أن ندرك جماع الصبر ومعرفته ؟ .

قال : « اجعلوا عزمكم في الأمور كلها ، بين يدي هواكم ، ثم اتخذوا كتاب الله إماماً لكم في دينكم » .

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

(٢) رواه الطبراني وغيره ، وصححه الألباني في الصحيحة برقم « ٤٠١٤ » .

ثم اعلمى أيتها المرأة الصالحة أنه إذا كان يجب عليك الصبر ، فليس لأن زوجك عصى الله تعالى بزواجه بأخرى ، أو أنه ارتكب إثماً ، وإنما اصبرى على ماتكرهين ، وعلى ما يخالف هواك ، وعلى الانتصار لشريعة الله ، حتى ولو لم تتمنين له ذلك ، واستحضرى دائماً فضل الصبر وأجر الصابرين ، يسكن قلبك إن شاء الله ، وتطمئن نفسك .

اصبرى على كلام الناس ، فهم غير مستقيمين على دين الله تعالى ، فماذا تنتظرين منهم إذن ؟ .

اصبرى على كلام النساء – حتى الملتزمات منهن – لأن هذه الشعيرة فضحت أكثر النساء ، وكانت لهن بمثابة الابتلاء والفتنة التى سقطن فيها .

اصبرى على أعراف المجتمع الذى ينظر للتعدد والمعدد نظرات مريبة .

اصبرى على كلام الأقارب والجيران والصديقات والأخوة والأخوات ، الذين فقدوا الميزان الصحيح فى نظرتهم للتعدد فضلاً عن الدين .

سئل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين عمن يتسخط إذا نزلت به مصيبة؟ . فأجاب بقوله :

الناس حال المصيبة على مراتب أربع :

المرتبة الأولى : التسخط وهو على أنواع :

● النوع الأول :أن يكون بالقلب كأن يتسخط على ربه يغتاظ مما قدره الله عليه ، فهذا حرام ، وقد يؤدى إلى الكفر ، قال تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ** ﴾ (١) .

● النوع الثانى :أن يكون التسخط باللسان كالدعاء بالويل والثبور وما أشبه ذلك ، وهذا حرام .

---

(١) سورة الحج الآية « ١١ » .

النوع الثالث : أن يكون التسخط بالجوارح ، كلطم الخدود ، وشق الجيوب، ونتف الشعور، وما أشبه ذلك ، وكل هذا حرام منافٍ للصبر الواجب .

المرتبة الثانية : الصبر .. وهو كما قال الشاعر :

والصبر مثل اسمه مر مذاقه　　　لكن عواقبه أحلى من العسل

فيرى أن هذا الشيء ثقيل عليه لكنه يتحمله ، وهو يكره وقوعه ولكن يحميه من السخط ، فليس وقوعه وعدم وقوعه سواء عنده ، وهذا واجب لأن الله تعالى أمر بالصبر فقال : ﴿ **وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [1] .

المرتبة الثالثة : الرضا ... بأن يرضى الإنسان بالمصيبة بحيث يكون وجودها وعدمها سواء، فلا يشق عليه وجودها، ولا يتحمل لها حملاً ثقيلاً ، وهذه مستحبة وليست بواجبة على القول الراجح ، والفرق بينها وبين المرتبة التى قبلها ظاهر ، لأن المصيبة وعدمها سواء فى الرضا عند هذا ، أما التى قبلها فالمصيبة صعبة عليه لكن صبر عليها .

المرتبة الرابعة : الشكر :

وهو أعلى المراتب ، وذلك بأن يشكر الله على ما أصابه من مصيبة ، حيث عرف أن هذه المصيبة سبب لتكفير سيئاته ، وربما لزيادة حسناته ، قال ﷺ : « **ما من مصيبة تصيب والمسلم إلا كفّر الله بها حتى الشوكة يشاكها** » [2] .



---

(١) سورة الأنفال الآية « ٤٦» .

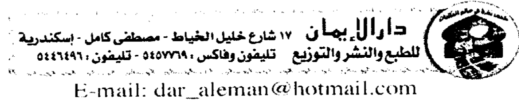
(٢) مجموع الفتاوى ورسائل ابن عثيمين ، جمع فهد السليمان « ١٠٩/٢» .

الفهرس

الموضوع **رقم الصفحة**

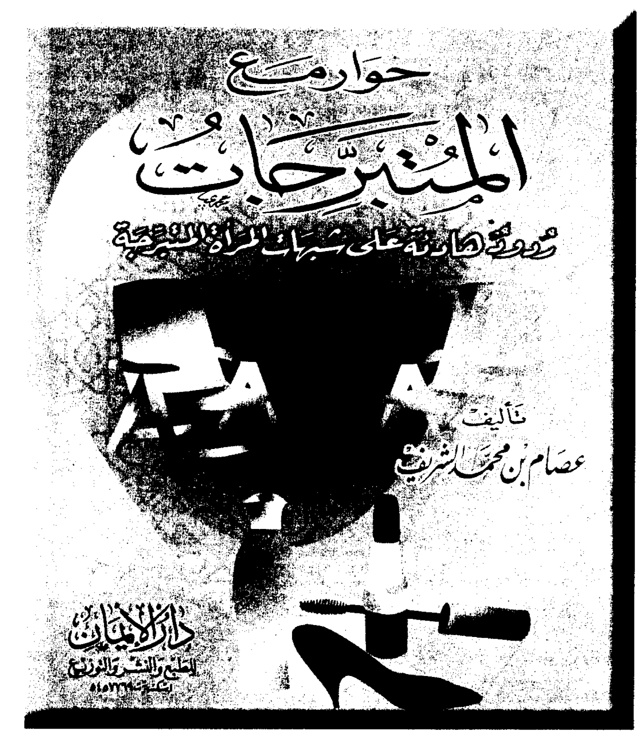
من مطبوعات دار الإيمان للشيخ عصام الشريف





E-mail: dar_aleman@hotmail.com

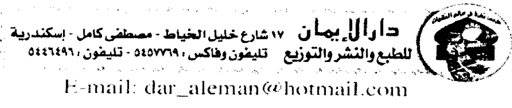
من مطبوعات دار الإيمان للشيخ عصام الشريف



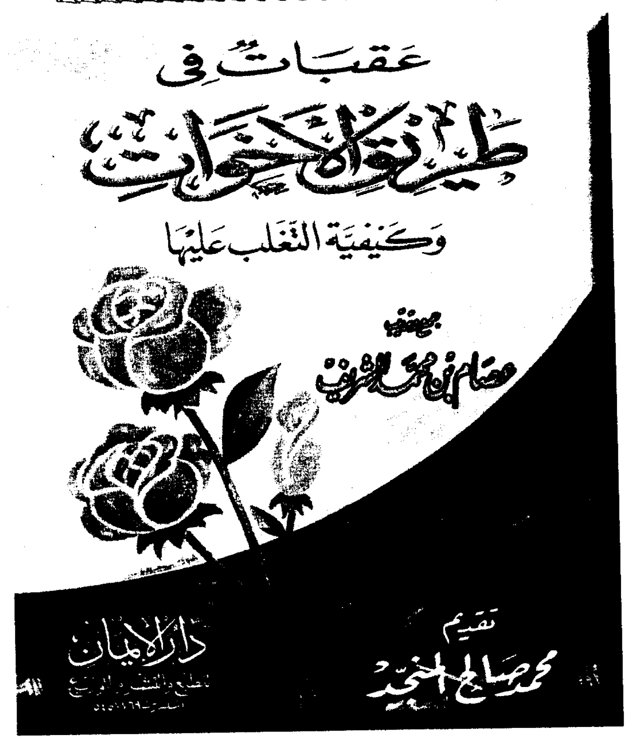
دار الإيمان ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
للطبع والنشر والتوزيع تليفون وفاكس : ٥٤٥٧٧٦٩ - تليفون : ٥٤٤٦٤٩٦
E-mail: dar_aleman@hotmail.com

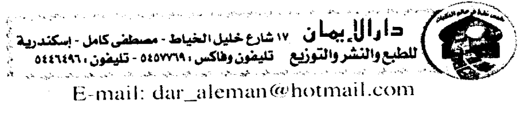
من مطبوعات دار الإيمان للشيخ عصام الشريف





من مطبوعات دار الإيمان للشيخ عصام الشريف





E-mail: dar_aleman@hotmail.com